

حسن رشاد

اقرأ

عاشقته نفساً

دار المعارف بمصر



عاشقہ نفسہ

حسن رشاد

عاشق نغمه نغمه

۱۸۶.

اقرا

دارالمعارف بمصر

أقرأ ١٨٦ - يونيو سنة ١٩٥٨

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر

الفصل الأول

نشأ « عثمان » في أسرة متوسطة الحال ولكنه استطاع بصبره وذكائه وجهاده أن ينشئ مع شريكه « فرج » بعد عشرين عاماً حافلة بالكفاح والعمل الدائب مصنعاً كبيراً للخزف والأسمت قرب المعادى ، يعمل فيه مئات الموظفين والمهندسين والعمال ، ويدر عليهما آلاف الجنيهات كل سنة .

وأراد « عثمان » بعد أن بلغ الثالثة والستين من عمره أن يتزوج فتخير أن يتزوج فتاة صغيرة فيها من الصبا والحيوية والجمال ما يعوضه عن الحرمان الذي عاناه ، ويضمن له أبناء أصحاء أذكاء حسان الصورة .

وكان « عثمان » قصير القامة ، أسمر اللون ، جعد الشعر ، جاحظ العينين ، ضخم الأنف إلى حد يستلفت النظر ولكنه كان قوى الجسم ، صلب العود حفظت له حياته المنظمة صحة موفورة وحيوية لا بأس بها ، وكان إحساسه بقبحه سبباً في انصرافه عن الزواج والتفكير في أحب لذات الحياة وهي لذة الحب ، فعاش سني حياته الطويلة وهو يزدري المرأة ويزدري الحب ومن يتحدث عن الحب ، فلما تقدمت به

السن واجتمعت له ثروة طائلة تاقت نفسه إلى الزواج ، وظن أن ثروته العريضة وجاهه العظيم يبيحان له ما كان يعتقد أنه محظور عليه ، وأحس أن في الدنيا أهدافاً أخرى غير المال والجاه هي التي تكسبها جلالها وأهميتها وبهجتها .

ولم يكد أفراد أسرته يسمعون بما عزم عليه حتى شاعت في نفوسهم إحساسات متضاربة ، فأما أخته « عائشة » فقد أنكرت الفكرة إنكاراً شديداً لأن مثل هذا الزواج متكلف لا يمكن أن يأتي بنتائج الزواج الطبيعية ، واتفق معها في الرأي زوجها المستشار بوزارة العدل إيماناً منه بنظرية الزواج المبكر المتكافئ ، أما ابنيها الدكتور « مختار » فقد وجد في رغبة خاله موضوعاً جديراً بالنظر والدراسة إذ كان بحكم منصبه كأستاذ علم النفس الأول في الجامعة يؤمن إيماناً راسخاً بنظرية العلامة « فرويد » التي تعزو معظم التصرفات الشاذة إلى عقد نفسية تكمن في اللاشعور ، ويعتبرها القول الحق في تفسير سلوك الإنسان ، وأما أخته « فائزة » فقد كانت تحب خالها « عثمان » حباً شديداً وترغب أشد الرغبة في إسعاده ولذلك رحبت بالفكرة ووعدت خالها أن تختار له فتاة بارعة الجمال من بين صديقاتها ، وشاركها في هذا الشعور خطيبها وابن عمها « جلال » المحامي .

أما « فرج » وزوجته « نجية » فقد عارضا « عائشة » لأن الدين يبيح لشريكهما أن يتزوج وسعادته تقتضى أن يتزوج ولكنهما فى الوقت نفسه أرادا له أن يتزوج من سيدة نصف من قريبات « نجية » ، ولكن عثمان رفض هذا الزواج رفضاً قاطعاً وأصر على الزواج من زهرة نضرة من زهرات المجتمع الراقى الذى أصبح ينتمى إليه .

ووجد « عثمان » ضالته المنشودة فى فتاة قدمتها له « فائزة » فى حفلة دبرتها خصيصاً لهذا الغرض فى دار أسرتها بملوان ، وكانت الفتاة رائعة الحسن فتانة ، فهام بها عثمان ورجاها أن ترتضيه زوجاً ، ووعدّها لقاء ذلك أن يبني لها فى المعادي حيث يقيم أفخم القصور وأن يطوف معها أقطار العالم التى تحبها ، وأن يضع بين يديها ثروته العريضة تفعل بها ما تشاء ولكن الفتاة رفضت هذا العرض رفضاً باتاً وصارحته أنها لا تقر هذا الزواج ولا ترضاه ، واشتد بينهما حوار انهزم فيه عثمان ، وانصرفت الفتاة عنه قائلة فى سخرية :

— دعنى فإنى أريد أن أقضى السهرة مع الشباب .
هنالك ثارت ثائرة عثمان واربد وجهه وأعلنها أنها ليست أهلاً لهذه النعمة وأقسم ليتزوجن فتاة تفوقها سحراً وفتنة وجمالاً .
وخرج عثمان مغيضاً محنقاً وركب سيارته وانطلق بها إلى

داره في المعادي ، ولما وصل إلى هناك أبلغه خادمه النوبي « سرور » أن شريكه « فرج » ينتظره في منزله لتناول العشاء معه . وكان منزل شريكه يقع على مسافة بضعة أمتار من منزله ولا يفصله عنه سوى سور صغير منخفض ، فاستدار « عثمان » وسار مخترقاً ممراً في الحديقة يصل بين المنزلين ، وحين دخل القاعة الخارجية عرف من أحد الخدم أن رب الدار وزوجته وابنتهما الوحيد « مجدى » يتناولون العشاء فوضع عصاه قرب الباب ودخل حجرة الطعام ، فلما رآته « نجية » قالت له باسمه :

— أهلاً . . أهلاً ، لقد تأخرت كثيراً على غير العادة ، ترى أين كنت ؟ . .

فأجابها وهو يبتسم ابتسامة مغتصبة :

— كنت في خلوان ، أرجو المذرة . .

وكان يجلس إلى جوار نجية ابنتها « مجدى » وهو شاب في السابعة والعشرين قوى الجسم ، جميل المنظر ، يعجب النساء ولا يتحرج معهن مما يتحرج منه الرجل العفيف ، وتطلع « مجدى » إلى عثمان وقال :

— يبدو عليك اضطراب ، هل حدث شيء ؟ . .

فأجابته في اقتضاب : لا شيء يا مجدى . .

ثم احتل مكانه من المائدة وأجال فيهم بصره فرأى « مجدى »
 بوجهه المتورد وشاربه المدبب المعقوف وعينيه البراقتين الحريشتين
 يتطلع في رضا إلى نفسه في المرأة ولكنه لم يلمحه وهو يختلس
 النظرات في غفلة من الجميع إلى الخادمة الشابة « نرجس »
 التي كانت تقوم على خدمتهم ، بينما كانت تجلس إلى جواره
 أمه وهي سيدة في الخمسين من عمرها طيبة القلب ، ساذجة
 النفس مطبوعة على الخير ، وعن يمينه كان يجلس شريكه
 « فرج » وهو رجل في الخامسة والخمسين ضخيم الجسم ،
 أصلع الرأس ، مجلجل الصوت لا يدل شكله على همه أو نشاط
 ولكنه كان في الواقع رجلاً سريع الحركة جهم النشاط لا يمل
 العمل أبداً .

وتطلع « فرج » بعد لحظات إلى شريكه وقال :

— ماذا يصدقك عن الطعام يا عثمان ؟ . .

— لا شيء يا فرج ، فهأنذا أتناوله بشهية كالعادة . .

وحمل نفسه على طعام عشائه حتى لا يظهرهم على
 ما بنفسه . وبعد تناول الطعام خرج الرجلان إلى الحديقة ،
 وكان القمر في إبانهِ والسماء المتألقة تضرب على الأرض رواقاً
 صافياً يهر الأبصار ، وجلسا على مقعد طويل تحت خيمة .
 وبعد لحظة تطلع فرج إلى صديقه وقال :

— أى هم يساورك يا عثمان ؟ ما الذى يشغل بالك ؟ . .

فأرسل نفساً عميقاً وغمغم يقول :

— إننى أشعر بضيق يقبض صدرى . .

— وهل لهذا من سبب ؟ . .

— أخشى أن تسخر منى إذا أخبرتك بالسبب .

— أعدك ألا أسخر منك إذا قلت الحقيقة ، فماذا حدث ؟

— لن أخفى عنك شيئاً ، لقد قدمتنى « فائزة » منذ ساعة

إلى فتاة رائعة الحسن ما إن رأيتها حتى استيقظ قلبى الغافل

وأحسست أنها المخلوق الوحيد الذى يستطيع أن يوفر لى السعادة ،

ولكنى ما كدت أعرض عليها الزواج حتى ثارت فى وجهى

وانصرفت مهرولة إلى أصدقائها . .

— أما قلت لك أن مثلك لا يليق به أن يتزوج من فتاة

جميلة فى مستقبل العمر ، أما قلت لك أكثر من مرة أن الزواج

من سيدة تناسبك فى السن هو الزواج الملائم لك يا عثمان . .

فأجابه متأففاً — بالله لا تذكرنى بهؤلاء العجائز ، فأنا

لا أميل إليهن إطلاقاً لأنهن يذكرننى دائماً بأننا أناس مشرفون

على الموت وأنا أكره الموت من أعماق قلبى . .

— يالك من عجوز متصابى ، ألا تريد أن تتحول عن

هذه الفكرة أبداً . .

— ولماذا أتحول عنها ، أى فرق بينى وبين أى شاب عادى . .

— هذا عيبك الوحيد يا عثمان ، أنت غير واقعى . .

— ولماذا ؟ أليس من حقى أن أتمتع بالحياة . .

— هذا حقك طبعاً ولكن لا ينبغي أن تدفع نفسك حيث

الشباب والحب والجمال ، فإن لهذا من هم أصغر منك سنأ . .

— هراء ، إننى أعرف كثيراً من الشبان حاولوا مزاحمة

أمثالى فى هذا المضمار ففشلوا فشلاً ذريعاً ، هذا بالإضافة إلى

إننى أبغى من وراء ذلك أن أمنح أبنائى الجمال الذى حرمته

عن طريق توريثهم صفات أمهم الحميلة . .

— وكيف ستهتدى إلى فتاة أخرى تتوفر فيها كل هذه الصفات ؟

— سأكلف سكرتيرى ليبحث لى عنها بين الأسر الكثيرة

المتوسطة الحال التى يعرفها . .

— إذن فقد تخليت عن فكرة البحث عن فتاة ذات

مكانة و ثراء . .

— أليس هذا أفضل ؟

— طبعاً ، ولكن أتظن « فريد » يصلح لهذه المهمة ؟ . .

— إن « فريد » فى هذه المهمة من الطراز الأول . .

وعندما أخبر « فرج » زوجته بما استقر عليه عزم « عثمان »

بعد انصرافه استولت عليها الدهشة وقالت :

— يا للعجب ، أليست له أية فكرة عن شكله ، أما خطر له أن ينظر إلى سحنته في المرأة . .

— لقد حاولت اقناعه ولكنه رفض فكرتى رفضاً باتاً . .

وكان « مجدى » يرقب والديه وينصت إلى حديثهما عن « عثمان » وزوجته المنتظرة من خلال غمام الدخان المتصاعدة من غليونه ووجهه يبرق سروراً ، ولما دخل مخدعه المنعزل آخر الليل لينام انفجر مقهقهة قهقهة عالية :

— ها . . . ها . . . ها ، يا له من خبر ، ابشر

يا مجدى . . . ها . . . ها . . . ها . .

وفي هذه اللحظة انسلت الخادمة « نرجس » إلى الحجرة وأغلقت الباب وراءها ولم يفطن « مجدى » إلى انسلاها إلا بعد أن أصبحت على قيد خطوة منه . وكانت « نرجس » فتاة جميلة خلابة ممتلئة الجسم فى الثالثة والعشرين من عمرها ، أحبت « مجدى » حباً جما وضحت فى سبيله بأعز ما تملكه كل فتاة ، أما هو فكان لا ينظر إليها إلا من حيث هى وسيلة سهلة لإرضاء شهواته . وتقدمت « نرجس » خطوة ثم مست ذراعه قائلة :

— ما الذى يضحكك كل هذا الضحك ؟

- فأخذه شيء من الارتباك ثم استدار إليها وقال :
- ماذا ؟ ألا ترالين ساهرة يا نرجس ؟ . .
- فطأطأت رأسها وقالت : لم أشأ أن أنام قبل أن تنام ،
- هل أنت بحاجة إلى شيء ؟ . .
- فمد إليها ذراعه وجذبها إليه ولكنها تملصت منه قائلة :
- لا . . . لا . . . اتركني . . . اتركني . .
- فنظر إليها عاجباً وقال : ماذا دهاك الليلة يا نرجس ؟
- لماذا أنت مغضبة ؟ . .
- أجبني أولاً عن سؤالى ، ماذا كنت تعنى بهذا الضحك ؟
- لقد سمعتك بنفسى . .
- ماذا سمعت ؟ لقد كنت أضحك من فكرة عرضت لى .
- وهل لهذه الفكرة علاقة بالفتاة الحميلة التى ينوى
- عثمان (بك) أن يتزوجها . .
- إذن فقد سمعت الحديث الذى دار عنها . .
- نعم لقد سمعت كل شيء . .
- أليست فكرة مضحكة ؟ . .
- الزواج قسمة ونصيب ، ولكنى أخشى شيئاً . .
- ما هو هذا الشيء ؟ . .
- إننى أخشى عليك من هذه الزوجة . .

فانفجر ضاحكاً : يالك من بلهاء ، أتغارين من خيال ؟ .
 فقالت في انفعال : إننى أغار عليك من كل شىء ولسوف
 أنتحر إذا شاركتنى فيك امرأة أخرى . . .
 فتظاهر بالجزع قائلاً : ويحك ، ما هذا الذى تقولين ،
 لماذا تفكرين هذا التفكير ؟ .
 فانفجرت باكياً : إننى خادمة بائسة وأخشى أن تهملنى
 وتنسأنى . . .

فجذبها إليه وضمها ضمة احتياج وهو يقول :
 — كيف أنساك يا نرجس ، ثنى أننى لن أنساك أبداً ،
 أنت لى كل شىء يا حبيبتى . . .
 فقالت فى ذلة وهى تهالك على صدره :
 — إذن لم لا تتزوجنى وترىحنى مما أنا فيه . . .
 — ولم السرعة يا نرجس ، لست أرى لها داعياً الآن . . .
 — ولكنى أرى لها أكثر من داع . . .
 — أنا معك ، ولكن الأفضل أن نترىث حتى لا نشير
 غضب أمى وأبى علينا . . .

وحين حاولت الكلام مرة أخرى أسكتها بقبلة طويلة
 اختلج لها جسمها أشد اختلاج ثم نظر إليها وقال :
 — تعالى يا نرجس ولا تضيعى الوقت فى كلام . . .

الفصل الثانى

وكان « فريد » شاباً فى السابعة والعشرين من عمره مديد القامة ، أسمر البشرة ، مسنون الوجه ، نحيف الجسم ولكنه على نحافته كان قوى البنية يتميز بنفس طموح وثابة لا تعرف مللاً ولا سأمًا ، وكان إلى جانب ذلك شاباً اجتماعياً لطيف المعاشرة محبباً إلى جميع أقرانه وجيرانه فى الحى الذى يسكنه فى شبرا . وكان أبوه موظفاً صغيراً يعول أسرة كبيرة ثم توفى وهو يهيم أكبر أبنائه « فريد » لدخول الجامعة فاضطر الفتى إلى قطع صلته بالدراسة لىبحث عن عمل يوفر لأسرته الفقيرة ما تتطلبه من قوت ، وعاش سنوات وهو يكدح كدحاً عنيفاً فى مختلف المنهن حتى ألحقه أحد الجيران من أصدقاء أبيه ويدعى « بكير » بعمل كتابى تحت رياسته فى مصنع « عثمان » الذى سرعان ما اصطفى « فريد » ليكون سكرتيه وموضع سره والصلة التى تربط بينه وبين الآخرين ، وتوثقت على أثر ذلك الصلات بين أسرة « فريد » وأسرة « بكير » باشكاتب المصنع وزادها توطداً تلك العلاقة القديمة التى كانت قد نشأت فى الخفاء منذ الصبا بين « فريد » و « شادية » تلك الفتاة اليتيمة الحميلة التى

كانت تعيش في كنف زوج خالتها « بكير » بعد وفاة أبويها ، وقد بلغ من حب « فريد » إياها أنه كان يغار عليها منذ الصغر .
 غير شديدة ولا يطيق أن تحدث شخصاً آخر غيره وخاصة من أبناء الجيران الذين كانوا يتهافتون عليها كلما لمحوها في الطريق ، أما هي فكانت منذ الصغر تنفر نفوراً شديداً من الأطفال الذكور باستثناء فريد وذلك لما كان يتميز به من قوة ومهارة ومقدرة على سرد القصص والنوادر . فلما تخطيا مرحلة الصبا إلى مرحلة الشباب تعاهدا على الزواج ولكنهما أبقيا الأمر بينهما سرا مطوياً إلى أن يتاح لفريد من المال ما يؤهله لطلب يدها من خالتها وزوجها .

وفكر « فريد » في أشياء كثيرة يرفع بها من قيمته فانتسب وهو في الرابعة والعشرين إلى كلية التجارة إذ كانت بغيته أن يكون في غده من رجال الاقتصاد ، واشتغل إلى جانب عمله في المصنع بأعمال تجارية أخرى كثيرة ضاعفت ثروته المحدودة وأذاقته لذة الكسب ولذة الثقة بالنفس . وفيما هو يحلم أحلام السعادة والحب والمجد ويمنى نفسه باليوم الذي ستترف فيه « شادية » إليه إذا به يفاجأ بالنبأ المفجع ، نبأ موافقة « شادية » وأهلها على خطبتها لطبيب شاب ثرى من جيرانهم يدعى « بدر الدين » كان ينافس في حبها ويمنى نفسه كغيره من

شبان شبرا بالزواج منها ، وعندما استقر هذا الخبر المزعج المذهل في أعماق قلبه ووجدانه ملكه يأس وسخط شديدان ، وأحس لأول مرة إحساساً لم يألفه طبعه من قبل وهو النزوع إلى الشر والانتقام . وأصبح « فريد » وليس يشغله إلا « شادية » وخطيبها « بدر الدين » فإذا جلس إلى مكتبه في المصنع يفحص ملفاته طار بفكره إلى « شادية » وإذا فكر لحظة في تنفيذ تعليمات « عثمان » وتصريف شئون موظفيه قطع عليه فكره خيال « بدر الدين » . وأثرت هذه الحال في نفسه أشد تأثير فازداد نحوله وأصبح شارد الذهن قلقاً لا يرضى عن شيء ولا يطمئن إلى شيء .

وكان « بدر الدين » طبيباً ناشئاً عادى المظهر ولكنه كان شاباً ثرياً لبقاً جذاب الحديث ، وكان أول عمل مارسه بعد تخرجه في كلية الطب أن فتح عيادة فخمة بجوار منزل « شادية » ثم جلس ينتظر القادمين من طالبي الشفاء وسرعان ما اجتذب إليه سكان الحي بشمائله وتوثقت الألفة بينه وبين جميع من خالطوه وعلى الأخص نخالة شادية التي أنقذها من مرض عضال لازمها طويلاً ، ومن هنا كثر اتصاله بهم واشتد اتصالهم به ، وكان « فريد » يزوره في عيادته ويدعوه أحياناً لزيارته في منزله ولكن لم يخطر له قط أن هذا الشاب الوديع

المسلم سيكون خطراً عليه وعلى حلمه الجميل ، وأنه سيصبح مزاحماً عنيداً يأخذ عليه الطريق ، ثم تكشفت له الأيام عما تكشفت عنه فإذا الأثرة هي قوام الحياة وإذا المال هو أقوى سلاح في الوجود . وما أكثر ما خطر له من خواطر الشر وما ثار في قلبه من عواطف السوء وقتذاك ولكنه ضاق آخر الأمر بكل هذا وقرر أن يكتب كتاباً إلى « شادية » بعد أن قطع صلته بها بضعة أسابيع عله أن يصل من ذلك إلى ما يشفيه من أحزان قلبه وأسقام بدنه . وذات يوم نهض مبكراً وكتب لها رسالة أشار فيها إلى مبلغ ما يكرهها من حب وما يعاينيه من شجن وعذاب ونال بالقدح مسلكها الذي سلكته . ولم ترد « شادية » فزادته حنقاً على حنق حتى كاد ينشق من الغيظ والكمد . وعاد مرة أخرى فكتب إليها كتاباً رماها فيها بالغدر والخيانة وما هو أقسى . من الغدر والخيانة وحز في نفسه مرة أخرى ألا تكتب إليه وألهبه ذلك تطلعاً إلى أنبائها وملاؤه غضباً عليها بقدر ما زاده تعلقاً بها .

وأخيراً ردت « شادية » ولكن عن طريق التليفون ، وكان في ذلك الوقت جالساً إلى مكتبه في المصنع مكباً على بعض أوراقه فلما أمسك بالساعة وسمع صوتها الساحر الرقيق شعر بتلك الهزة التي طالما شعر بها كلما رآها تخطر أمامه . قالت له :

— أنا « شادية » يا فريد . .

— أهلاً وسهلاً . .

— كنت على وشك أن أكتب إليك ولكنى فضلت أن أتحدث معك بالتليفون . . . أنت وحدك ؟ . .

— نعم .

— لقد وصلتني رسائلك التي بعثت بها إلى مع أختك الصغيرة ، وأريد بهذه المناسبة أن أطلب طلباً . .

— ما هو مطلبك ؟ . .

— إنها مسألة سخيفة جداً . . أريد باختصار أن أقابلك على انفراد . .

— بكل سرور ، متى وأين ؟ . .

— أيوافقك غداً الساعة العاشرة صباحاً بكازينو الأهرام . .

— حسن ، سأكون في انتظارك في نفس الزمان والمكان . .

— شكراً ، إلى اللقاء . .

وبعد المحادثة تمطى في مقعده وهو يتطلع إلى شيء لا يتبينه ولكنه مشرق بهيج ، وهذا الشيء هو ما اصطلاح الناس على تسميته بالشعور بالأمل .

وفي فجر اليوم التالي صحا « فريد » من رقاده قبل الشروق على الرغم من أنه نام بعد طول سهر وتفكير . وبعد أن تناول

فطوره مع والدته وإخوته الصغار خرج وركب الترام وقصد إلى شارع الهرم . وبعد ساعة كان يجلس داخل الكازينو أمام إحدى الموائد وقد بسط أمامه صحيفة ليخفى قلقه واضطرابه ، وبعد وصوله بنصف ساعة أهلت على القاعة التي كان يجلس فيها فتاة في الثانية والعشرين بهيئة الطلعة ، ذهبية الشعر ، ممشوقة القوام ، ساحرة العينين ، بارزة النهدين ، في وجهها جمال أخاذ ، وفي جسدها فتنة تدير الرأس ، وكانت ترتدي ثوباً أحمر اللون يكشف عن صدر بخص وأنوثة صارخة ، وفي الشق الأيسر من صدرها مشبك ماسي كبير ينحطف سناه الأبصار . وتقدمت في رشاقة إلى الداخل والعيون محدقة بها من كل جانب فلما أحسن فريد مقدمها نهض للقائها باسم المحيا فتقدمت منه وصافحته قائلة :

— صباح الخير . . . آسفة جداً لتأخري ، هل تأخرت كثيراً ؟ .

— كلا . . . تفضلي . .

فقالت وهي تأخذ مكانها أمامه — هيه . . كيف تجد هذا المكان ؟ . .

— إنه مكان بديع للغاية . .

— إذن فأنت ما زلت تطري ذوقى ؟ . .

— إننى أطرى ذوقك دائماً . .

وفطن « فريد » إلى أن حضور « شادية » استرعى انتباه معظم الرجال الذين كانوا يجلسون غير بعيد منهما فحملق فيهم كى يغضوا أبصارهم ولكنهم لم يحفلوا بأمره وأخذوا يرمقونها كالمسحورين ويتابعون كلامها فى شغف وإعجاب ملحوظ ، واشتد اهتمامهم وتعجبهم بعد وقت حتى همس أحدهم :

— ما أجملها وما أجمل هذا الثوب على جسدها . .

وبلغ العجب بآخر أنه صدم كأس شرابه بيده فسقط على الأرض فاحمر وجهه من شدة الحجل والارتباك . واسترعت هذه الضجة التفات « شادية » وكانت تعرف أنها تبث فى الرجال أثراً قوياً غير مألوف ، فلما أدركت الموقف الذى طالما صادفت مثله ابتسمت ابتسامة زهو ومباهاة وراحت تتملى محاسنها فى مرآة على الحائط المواجه لها فى شغف ولذة وسرور ، ولاحظت بعد وقت أن « فريد » قد تملكه ضيق شديد فأشارت عليه بالانتقال إلى مائدة منعزلة ثم نهضت وهى تنظر حولها فى غبطة فائقة وتقدمته إلى مائدة متפרقة ولما جلسا نادى الحرسون ثم التفت إليها قائلاً :

— ماذا تطلبين ؟ . .

— أريد قدحاً من الشاي وبعض الحلوى . .

ولما جاءهما الجرسون بالشاي والحلوى تولى « فريد » صب الشاي في الأقداح ، وعندما قدم لها قدحها قالت له :

— لم تسألني بعد لماذا حضرت ؟ . .

— ولماذا أسأل ، هذا كرم منك . .

فتشاغلت لحظة بإصلاح مشبكها الماسي فنظر إليها ثم إلى المشبك وقال وهو لا يحول نظره عنه :

— من أين لك هذا المشبك الثمين يا شادية ؟ . .

فقالت في صراحة : إنه من بدر الدين . .

فقال وهو يكظم انفعالا سري في جسده كالكهرباء :

— إذن فقد صح اعتقادي . .

— ماذا تعني ؟ . .

— أعني أن اختيارك لم يقع عليه إلا لماله ، أليس كذلك ؟ .

— يجب أن تعرف يا فريد أن الأمر لم يكن بيدي ، لقد

جئت لأؤكد لك أن خالتي هي التي أرغمتني لأنها كما تعلم

مدينة بحياتها لبدر الدين . .

— هراء . .

— بل هذه هي الحقيقة . .

— ولماذا لم تعترضني ؟ . .

— لم أشأ أن أخالفها وهى بمنزلة أمى ولرايها فى نفسى
مقام كبير . .

— أتريدى منى أن أصدق هذا الكلام ؟ . .

— قسما لىنى لم أقبل هذه الخطبة عن طيب خاطر . . .
فاعترته نشوة لهذا الاعتراف وقال : إذا كان الأمر
كذلك فلم لا تحاولين إقناعها مرة أخرى ؟ . .

— لقد حاولت ولكن بدون جدوى . .

— عجباً لك يا شادية ، إنك فتاة راجحة العقل وقد بلغت
من السن ما يوهلك لأن تبنى مستقبلك بنفسك ، فكيف
ترضين لغيرك أن يتدخل فى شئونك على هذه الصورة . .

— كل هذا صحيح ، ولكنى لا أستطيع أن أفعل شيئاً
يغضب خالى . .

— الزواج ليس أمراً سهلاً يا شادية ، وتدخل الغير فيه
قد يضر . .

فطأطأت رأسها وطفقت تعبت بالمشبك لحظة ثم قالت :

— لا فائدة لى كما لا فائدة لك من هذا الكلام يا فريد ،
لقد قضى الأمر . .

— إن الأمر لم يقض بعد ما دام القران لم يعقد . .

— إن القران سيعقد فى الأسبوع القادم يا فريد . .

فانتفض في مكانه كالملسوع وقال :
 — الأسبوع القادم ! ! ويحك يا شادية ، هذه مباغته
 قاتلة —

فقلت وهي تلاطف يده :
 — لا تجزع هكذا يا فريد ، ثق أنني لن أنسى صداقتك
 أبداً . .

— صداقتي ! ! . .
 — نعم ، إن صداقتنا يجب أن تدوم . .
 — وماذا يهمك من أمر صداقتي بعد أن آثرت على غيري ؟
 — إنني لا أطيق تصور بعدك عني . . .
 — لست أحب أن تقولي هذا يا شادية ، فليس من النبيل
 محاولة خداع شاب في مثل موقعي . .
 — ما أقسالك يا فريد ، كيف تقول ذلك إن كنت تحبني .
 — إنك تظلمين أشد الظلم حين تنسين أمراً . .
 — ما هو ؟ . .

— إنك تنسين أنك حطمت حياتي وأشقيتني شقاء
 لا مزيد عليه . .

— قلت لك إن الأمر لم يكن بيدي ، لم لا تصدقني . .
 فانفجر غيظاً — أظنن أنني أصدق هذا الكلام ،

لو كنت تحبيننى حقاً لما وافقت على الزواج منه ولكننى عرفت الآن أى فتاة أنت ، وكان يجب أن أعرفك من قبل على حقيقةك ولكنى كنت غريباً أحمق . .

فحامت حول فيها بسمه غريبة وقالت مستنكرة : ما هذا الكلام يا فريد ، أرجو أن تزن كلامك قبل أن تتفوه به .

فقال فى حدة : دعينى أتحدث بصراحة وإلا غابت عنك الحقيقة ، لقد كنت لى بهجة الحياة وقوت الروح وكنت أحبك حباً جنونياً مطبقاً ، وكنت أحسبك تبادلينى حباً بحب ولكنى عرفت الآن حقيقة شعورك نحوى ، فإن كنت تعتقدين أن هذه المجاملات تعوضنى عن الحب فما أجهلك بالحب ، وما دمت قد وطأت حبنى بقدميك وآثرت علىّ غيرى فسأحاول أن أخرجك من قلبي وسوف أعيش بعد اليوم حياة تقطر حقداً وشرّاً وكراهية لك وللناس جميعاً . .

فقالت وهى تلاطف يده : أتوسل إليك أن ترفق بنفسك يا فريد . .

فأجابها وهو يجذب يده بعيداً : دعينى وشأنى .

فابتسمت ابتسامة رقيقة وقالت فى صوت حنون :

— أليس من حق أن أقلق عليك . .

— كلا ، لقد فقدت هذا الحق من الآن . .

- لا . . . لا يا فريد ، محال أن أفقد هذا الحق مهما كانت الأسباب . . .
- فقال في حدة : كفى . . . كفى ، إنك تثيرين أعصابي ، يجب أن ينتهي الآن ما بيننا . .
- فقالت وهي تنهض من مكانها مغضبة :
- أهذا جزاء صراحتي وإخلاصي ، أنا منصرفة . .
- دعيني أوصلك إلى ميدان الحيزة . .
- لا داعي لأن تجشم نفسك هذا العناء . .
- لا ينبغي أن تغادري الكازينو بمفردك . .
- ولماذا ، أن ذلك يسرنى . .
- كيف يسرك ذلك ، يجب أن أرافقك حتى لا يعترض طريقك معترض . .
- ليس بوسع أحد أن يعترض طريقي . .
- خفضي من صوتك يا شادية ، لا يجمل بنا أن نحتد هكذا أمام الناس . .
- قلت لك لا داعي لمجيئك ، إن سيارتي تنتظرنى بالخارج .
- سيارتك ! ! متى كانت لك سيارة ؟ . .
- أتستكثر على سيارة ؟ . .
- معذرة ، لم يكن من حقى أن أسأل ، ولكن خبرينى

هل رافقتك أحد إلى هنا ؟ . .

— كلا ، اطمئن ، إننى أسوقها بنفسى . .

— أتسوقين السيارة بنفسك ؟ متى تعلمت القيادة ؟ . .

— منذ ثلاثة أسابيع ، أيدهشك ذلك ؟ . .

— كل الدهشة . .

— إذن تعال وشاهد بنفسك . .

— سأرافقك فقط إلى الباب . .

وسارا إلى الخارج حيث كانت تنتظر « شادية » سيارة صغيرة أنيقة المظهر ، وخرج وراءهما رجلان حملق أحدهما فى شادية من فرعها إلى قدمها مدهوشاً وقال الرجل الآخر وهو يتمايل من شدة السكر :

— يا إلهى . . . ما أجملها . .

ثم وجه إليها عبارة نابية فلما سمع فريد ما قال هاجه أن يراها تهان وهى معه فسرعان ما هجم على الرجل ولكمه لكمة قوية ألقتة على الأرض ، وبعد هنيهة نهض الرجل وكر راجعاً فوقف له فريد متأهباً للدفاع ولكن الرجل توقف فى منتصف الطريق وقال وهو ينسحب من أمامه :

— أرجو عفوك . .

ولما انصرف الرجلان التفتت « شادية » إلى فريد وقالت :

- أنا آسفة لما حدث . . .
 — لست أرى موجباً للأسف . . .
 — إذن دعني أشكرك على ما فعلته من أجلى . . .
 — إني لم أفعل شيئاً يستحق الشكر ، إنما فعلت ما يمليه
 على الواجب . . .

- ولما اقتربا من السيارة قالت له وفي عينيهما رجاء :
 — ألا تريد أن أصحبك إلى البحيرة ؟ . . .
 — كلا . . . شكراً لك . . .
 فأمسكت ذراعه بلطف قائلة : أضرع إليك يا فريد . . .
 فجذب ذراعه وقال ونفسه تعج بيشى الانفعالات :
 — لا أستطيع أن أركب سيارته معك ، وإلا احتقرت نفسي . . .
 فأمسكت عن الكلام هنيهة ثم قالت وهى تتأمل وجهه المكفهر .
 — أنت وشأنك يا فريد ، ولكن ما دمنا سنفترق فلنفترق
 كصديقين وإلا فلن ترانى أبداً .

فخفق قلبه لدى سماعه تلك العبارة واعترضت حلقه غصة
 كأنها زفرة متجمدة ، وكانت قد صعدت إلى السيارة ومدت
 إليه يدها وهى تحديق فى وجهه طويلاً فرأت شفثيه تختلجان
 وفجأة رآته يمسك يدها ويهوى عليها بفمه وهو يهمهم بكلمات
 مبهمه لم تستبن منها شيئاً .

الفصل الثالث

وعاد فريد إلى منزله بعد هذا اللقاء ممزق النفس ، شارد
الذهن ، مضطرب بين الحقد والثورة والرغبة في الانتقام ،
وبين الحب والشوق والرغبة في الاستسلام ، وفي الصباح خرج
إلى عمله ولم يكد يصل إلى مكتبه في المصنع حتى ارتقى على
مقعده متأففاً وتناول ملفاً من الملفات المرسومة أمامه ونظر فيه
وقلب بعض أوراقه ثم تركه وتناول غيره وحاول أن يركز فيه
تفكيره ولكن دون جدوى فقد كان عقلاء وقلبه وعواطفه كلها
مع شادية ، وبعد لحظات سمع جلبة الساعي خارج المكتب
فكان ذلك إيذاناً بوصول « عثمان » . ولما دخل عثمان رآه
« فريد » على غير ما تعود أن يراه ، رآه أنيق الهندام ، مشرق
الوجه ، مصبوغ الشعر ، خفيف الحركة فوقف يحياه ويتأمل
مدهوشاً ، ولما لاحظ عثمان ما عراه ابتسم له وقال :

— تعال إلى مكنتى . . . عندى لك مفاجأة . .

ولما استقر بهما المجلس التفت إليه فريد وقال :

— خير إن شاء الله . .

فقال عثمان وهو يتأمل وجه سكرتيه ليرى فعل كلماته
في نفسه :

— سأبوح لك الآن بسر . .

— سر ! ترى ماذا هنالك يا عثمان (بك) ؟

— لقد قررت الزواج دون إبطاء . .

فنظر إليه في دهشة واهتمام وقال : قررت الزواج ! !
أجساد أنت في قولك يا عثمان (بك) ؟ . .

— طبعاً ، أليس من الرشيد أن نتزوج قبل أن يدهمنا

الموت . . .

— بكل تأكيد . . .

— ولكن ألا يدهشك أن أفكر في الزواج بعد أن بلغت
هذه السن ؟ . .

— ما هذا الكلام يا عثمان (بك) ، إنك ما زلت في

عنقوان الرجولة . .

فلاحت على فمه ابتسامة عريضة وقال :

— إذن فأنت تعتقد أن التوفيق سيكون حليفي . .

— ولم لا ، إن علو مكانتك وعظم جاهلك وشخصيتك

الفذة ترشحك لأفضل النساء . .

— ولكنك لم تعرف بعد رأيي في الفتاة التي أصبو إليها . .

— أى نوع من الفتيات تريد ؟ ..
 — أريد فتاة رائعة الجمال فى مقتبل العمر ، لأننى أعتقد
 أن هذا الصنف يعطى أنفـس ما فى الوجود ألا وهو الشباب ،
 أليس كذلك ؟ ..

— تماماً يا عثمان « بك » ..
 — ما دمنا متفقين فدعنى أطلب منك خدمة ..
 — أنا رهن إشارتك يا عثمان « بك » ، ماذا تريد ؟ ..
 — أريد أن تبحث لى بين الأسر الكثيرة التى تعرفها عن
 فتاة بهذه الأوصاف ..

فشرد فريد بفكره قليلاً ثم التفت إليه وقال :
 — أعتقد أننى أعرف فتاة تنطبق عليها هذه الأوصاف
 تمام الانطباق ..

فتورد وجه عثمان وقال فى لطفة :
 — من ؟ ..

— الأنسة « شادية » قريبة الأستاذ « بكير » ، إنها آية
 من آيات الجمال ..

فهز عثمان رأسه قائلاً : أتعنى تلك الصبية التى جاءت
 معه مرة إلى هنا منذ بضع سنوات ؟ ..

— إن هذه الصبية قد اختفت الآن وحلت محلها عادة

مكتملة لا نظير لحماها . .

— أحقاً ما تقول ؟ . .

— هذه هي الحقيقة ؟ . .

— أتستطيع أن تصفها لي . .

— إنها تحفة رائعة تفوق كل وصف . .

— أهي جميلة إلى هذا الحد . .

— إلى أبعد حد ، إنها خلقت كما تشاء .

فقال عثمان وهو يفتل شاربه :

— ما دام الأمر كذلك فلا بد أن أراها . .

— إذا كانت هذه نيتك فيجب أن تعجل ، لأن الفتاة

قد تتزوج عما قريب .

— هل تقدم إليها أحد ؟

— نعم ، طبيب شاب من جيراننا . .

— إذن فأنت تعرفه . .

— إننا متجاوران متعارفان من زمن بعيد وبهذه المناسبة

أرجو ألا يعلم بكير أو أحد من أفراد أسرته أنني الذي أشرت

عليك بذلك . .

— كن مطمئناً ، لن يأتي اسمك على لساني ، والآن

سأذهب إلى بكير لمفاتحته في الأمر . .

وترك عثمان مكتبه على الفور واتخذ سمته في ممر طويل متعرج حتى اقترب من جناح الموظفين ، وكان خبر وصوله قد بلغهم فانقطعت أحاديثهم وعكف كل واحد منهم على عمله في جدد ملحوظ ، أما هو فقد مضى في طريقه حتى بلغ باب حجرة « بكير » وبعد أن توقف قليلا طرق الباب ودخل ولم يكده « بكير » يلمحه داخلا عليه حتى هب واقفاً وأسرع إليه يحييه وهو يغمغم في تأدب واحتشام :

— سعادة البية . . . أهلاً . . . وسهلاً . . .

فصافحه عثمان في رقة قائلًا : كيف أنت يا بكير ، أكل شيء على ما يرام ؟ . .

— على أحسن ما يرام يا سعادة البية . .

فأمسك بذراعه في مودة وقال : لقد جئت في زيارة قصيرة لأكشفك بأمر يهمني . .

— تفضل يا سعادة البية . . . تفضل . .

وأسرع وقدم إليه كرسيًا فجلس عثمان ووضع ساقًا على ساق ثم دعاه للجلوس بجانبه فجلس على أحد المقاعد في تأدب ورفع إليه بصره متطلعاً وهو يتوقع أن يحدثه في شئون عمله فوجدته يدقق النظر في وجهه ويقول :

— أنا عاتب عليك أشد عتاب يا بكير . .

فنظر إليه بعين حائرة وقال متلعثماً : تعتب عليّ ، ولماذا
يا سعادة البية . .

— لأنك أخفيت عني شيئاً . .

فنظر إليه نظرة تم عن قلق وحيرة ودهشة وقال : أنا أخفيت
عنك شيئاً ! ! حاشا لله يا سعادة البية ، ماذا أخفيت عنك
يا عثمان بيه .

فنظر إليه مبتسماً وقال : لقد أخفيت عني وجود عروس
جميلة في منزلك يا بكير . .

فتنهّد الآخر وقال في جذل وارتياح :

— ماذا ؟ أتقصد شادية يا عثمان بيه ؟

— نعم ، أمخطوبة هي حقيقة ؟ . .

— أجل ، وسيعقد قرانها قريباً .

— آه ، يظهر أنني جئت بعد فوات الوقت . .

فنظر إليه بكير مستطلعاً وقال : ماذا تقصد يا سعادة البية .

— أقصد أنني كنت أريدها لنفسى ، ولكن يظهر أنني

سيئ الحظ يا بكير . .

فقال الآخر وقد أضاعت في عينيّه لمعة تم عن فرحه

وابتهاجه :

— هون عليك يا سعادة البية ، إذا كنت تريدها حقّاً

فثق أنها لك من الآن . . .

فحذق فيه قائلاً : ونخطيها ؟ . .

— سأسوى الأمر معه . .

— وهي ؟ أتظن أنها توافق ؟

— أترك هذا الأمر لى ، سأدبر كل شيء بنفسى . .

— إذا وافقت « شادية » فسأبدل فى سبيل إسعادها أئمن

ما عندى . .

— كن واثقاً أنها لك من الآن ، هذا شرف عظيم

يا عثمان بيه . .

— شكراً لك يا بكير ، ومتى أستطيع أن أزورك لأراها . .

— فى أى وقت تشاء . .

— أحب أن تضرب موعداً ؟ . .

— تفضل غداً حوالى الساعة مساء .

— حسناً ، إلى اللقاء يا بكير . .

الفصل الرابع

وحالما فرغ « بكير » من عمله فى المصنع انطلق إلى الفيلا الصغيرة التى كان يقيم فيها بشبرا والفرح يطفر من جميع أجزاء بدنه ، ولما رأى زوجته أقبل عليها متهلل الوجه وقال :

— أين شادية ؟

— بالطابق العلوى .

— لقد جئت لك بنياً لا يطراً على بال . .

— خير إن شاء الله . .

فأمسك بذراعها يضغطة قائلاً :

— تعالى إلى الصالون لنحدث فى الأمر قبل مفاتحة

شادية . .

فأسرعت وراءه ولما استقر بهما المجلس التفت إليها وقال :

— سيزورنا عثمان (بك) غداً . .

فحدقت فيه مدهوشة وقالت : عثمان (بك) يزورنا ! ! . .

— خبر عظيم ، أليس كذلك ؟

— طبعاً ، هذا تنازل كبير منه . .

— ولكنك ستدهشين أعظم الدهشة عندما تعرفين السبب

- الذى سيجئ من أجله ، أتدريين لماذا ؟ . .
- ومن أين لى أن أعرف .
- إنه سيزورنا ليخطب شادية لنفسه . .
- فصربت المرأة صدرها وقالت فى جزع ودهشة :
- يخطب شادية !! والدكتور بدر الدين ؟ . .
- لا عليك ، سأسوى الأمر معه . .
- فقاطعته قائلة : لا . . لا ، لا يمكن أن أوافق على ذلك . .
- كيف لا توافقين ؟ أين بدر الدين من مليونير ملحوظ
- المكانة مثل عثمان (بيه) ؟ . . .
- شادية لا يمكن أن توافق على الزواج من رجل كهل
- مثل عثمان (بيه) . .
- من قال إنه رجل كهل ، إنه يملك من النشاط والحيوية
- ما لا يملكه شاب فى عنفوان الشباب ، وفضلا عن ذلك فإن
- وراء هذا الأمر مصلحة لنا لأننى فى هذه الحالة سأقلد أكبر
- وظيفة إدارية فى المصنع . .
- فهزت رأسها قائلة : ولو ، إننى لا أرضى لشادية أن تتزوج
- زواج مصلحة ومن الخير أن تتزوج من بدر الدين لأنها تحبه
- وهو يحبها حباً لا مزيد عليه ، هذا علاوة على أنه شاب كامل
- وأمامه مستقبل عظيم . .

فقطب جبينه وقال فى شىء من الحدة والحشونة :
 - ولكننى لن أوافق على زواجها من بدر الدين بحال
 من الأحوال .

- ولماذا ؟ أى عيب فى بدر الدين ؟ . . .
 - هذا رأى فى الموضوع ولن أتحول عنه . . .
 - أهذا هو جزاء جهده فى خدمتنا ؟ . . .
 - إننى لا أنكر فضله عليك ولكن فضل عثمان (بيه)
 غمرنا جميعاً . . .

- ولكننا اتفقنا معه وليس هناك ما يدعو إلى أن ننقض
 معه هذا الاتفاق . . .

- إننى لم أوافق معه على شىء ، أنت التى أرغمتنا على
 قبوله . . .

- لست أدري فيم بغضك لبدر الدين مع أنه لم يسء
 إليك بلفظ أو عمل . . .

فحدجها بنظرة صارمة وقال : ماذا تقصدين ؟ . . .
 فرفعت إليه رأسها وأحدث فيه بصرها وقالت :
 - أقصد أنه ما كان يجمل بك أن تعامله هذه المعاملة
 القاسية التى طالما لقيها منك هنا مع أنه لا يضمرك سوى
 الاحترام والصفاء . . .

— إننى لا أكرهه ولا أذكر أننى أسأت إليه ، ولكنى
قلت وما زلت أقول إن درة ثمينة مثل شادية يسارع إليها الخطاب
كل يوم ، لا ينبغي أن تتزوج زواجا عاديا . .

فرمقته بنظرة حامية وقالت متهدجة النبرات :

— إننى لست من الغفلة بحيث أجهل حقيقة شعورك نحو
شادية ، كما أننى لا أستطيع الإغضاء فوق ما أغضيت
بعد الآن . .

— ما معنى هذا ؟ . .

— سل نفسك ، سلها لماذا حلت بينها وبين الزواج إلى
الآن ، سلها لماذا طاردت كل شاب تقدم يطلب يدها دون
مبرر . .

فالتفت في عينيه نظرة مريبة وقال :

— إننى ما فعلت ذلك إلا حرصاً على مصلحتها ، ومع
ذلك فأنا حر فى تصرفاتى . .

فقالت فى حنى وانفعال : أنا لا أحب أن أناقشك فى
تصرفاتك ولكن إذا كان فى هذه التصرفات ما يחדش الكرامة
فإن من حقى أن أسأل وأن أناقش ، أتظن أننى عميت عن
رؤيتك وأنت تحوم حول شادية وترمقها بنظراتك المريبة
كلما جمعتك بها مناسبة . .

فانتفض واقفاً وعيناه تقدحان شرراً وانفجر كالبركان :
 - ويلك ، هل بلغت بك الحرة أن ترميني بهذه التهمة ،
 سأعرف كيف أضع حداً لكل هذا . .

وراح يذرع الحجرة وهو يهمهم بكلمات الوعيد والتهديد ،
 فنهضت إليه وحاولت أن تهدئ من ثورته ولكنه اندفع يسب
 ويصخب ويصيح بها :

- أخرجني ، أخرجني من أمامي . . . اذهبي ولا تريني
 وجهك . .

. فأجهشت بالبكاء دفعة واحدة وهي تقول : . سامحني
 يا بكير . . أنا آسفة لما بدر مني . .

فنحاهما عنه في غضب وهو يقول : اذهبي ، لا ضبر لي
 بعد اليوم على وساوسك وأوهامك ، إنها كلمتي الأخيرة .
 فحرتها نوبة شديدة ولم يلبث أن بدا عليها الإعياء فجأة
 وما كادت تسقط مغشياً عليها حتى تلقاها بين ذراعيه ثم نقلها
 إلى مقعد وأخذ يعالج شأنها حتى أفاقت ، وعندما فتحت
 عينيها وأدركت الموقف قالت له :

- المعذرة يا بكير ، إن أعصابي ضعيفة فاغفر لي . .

فقال وهو يربت على كتفها ملاطفاً : غفرت لك ، حاولي
 أن تستريحي ، سأصعد الآن إلى شادية لأن الوقت ضيق

ولا ينبغي أن يضيع سدى — وتركها وخرج بعد أن رد الباب خلفه ثم صعد إلى الدور العلوى تتنازعه شتى الأفكار والنزعات والعواطف ، وعندما دنا من حجرة « شادية » اختلج في نفسه ذلك الشعور الذي طالما انتابه كلما انفرد بشادية في خلوة ، ومر بباله في هذه اللحظة موقف وقفه منها حين دخل عليها يوماً في حجرتها فوجدتها نائمة على فراشها نصف عارية فما كان منه إلا أن تسلل على مهل وجر الغطاء عليها بعد أن أطلال النظر إلى أجزاء بدننها العارية في لذة بالغة . وكان باب حجرتها في هذه المرة منفرجاً كالمرّة السابقة فتوقف لحظة وراح يتسمع ولما لم يسمع صوتاً دنا خطوة أخرى إلى جوار الباب ولم يكذ يفعل ذلك حتى وقف مأخوذاً ، ذلك أنه رأى في المرأة المواجهة للباب « شادية » مستلقية على فراشها تطالع كتاباً وعليها غلالة شفافة من الحرير الوردى ، فوقف بجوار الباب يحدق في المرأة وينقل بصره الزائغ في أجزاء بدننها وهو صامت ، ثم ألفاها تحرك ساقاً فوق ساق فجحظت عيناه واختلجت شفتاه وسبح العرق على جبينه ، وغاب عنه في غمرة انفعاله وذهوله أنها كانت تراقبه خفية في المرأة ولكنها تظاهرت بعدم رؤيتها له لترى مدى سلطان جمالها على نفسه ولترضى في نفسها ذلك الميل الغريب الشاذ الذى كان يدفعها دائماً إلى إثارة الرجال وتعريضهم إلى

المواقف المخزية الدليمة التي تظهرهم في أبشع مظهر وأرذل خلق وأقبح صورة .

وظل « بكير » واقفاً في مكانه فاغر الفم بضغ لحظات ثم تقدم وطرق الباب ودخل فأسرعت شادية وطوت الكتاب ثم ابتسمت له وقالت وهي تضع ثوباً آخر على بدنهما :
— أهلاً وسهلاً . .

فقال وهو ينتزع الكلمات من فمه في جهل :

— أهلاً بك يا شادية ، كيف أنت ؟ .

— على خير ما يرام ، وأنت ؟ . .

— في أحسن حال . .

وأخذ مكانه على طرف السرير ثم قال لها :

— المَعذرة عن إقلاق راحتك في هذا الوقت ، لقد جئت

لأنخبرك نبأ هام جداً . .

— نبأ هام جداً ! ! ترى ماذا وراءك يا عمي ؟ . .

— عثمان بك سيزورنا غداً . .

فأشرق وجهها وقالت في دهشة وابتهاج :

— عثمان بك يزورنا ! ! أجاد أنت في قولك يا عمي ؟ . .

واعتمدت جالسة في فراشها وهي تتطلع إليه في لهفة واهتمام

شديدين ، فروى لها كل ما حدث بينه وبين عثمان (بك) ،

وهي شديدة الإصغاء إليه وما إن انتهى من حديثه حتى ابتدرته
قائلة وهي تتأمل محاسنها في المرأة :

— يا لها من مفاجأة ، لو لم تخبرني أنت بها لما صدقت . .
فدنا منها وأخذ يدها يلاطفها وهو يقول

— ولماذا لا تصدقين ، إن فتاة في مثل بهائك وكمالك
لا يستكثر عليها ذلك . .

— ولكن يا عمي . . .

— ولكن ماذا ؟

— أتظن أن خالتي توافق ؟ . .

— لقد عرضت عليها الأمر فلم تمنع اقتناعاً منها بأن هذا
الزواج سيوفر لك أقصى ما تنشدين من الهناء والسعادة . .

— لا شك في ذلك يا عمي . .

— إذن فأنت موافقة . .

— أنا لا أعترض على رغبة لكما ولكن ماذا سنقول

لبدر الدين . .

— لا يشغل بالك شيء ، دعني هذا الأمر لي . .

— أحب أن أعرف ما ستقوله له . .

— سأخبره أننا نضمّر له عاطفة طيبة ولكننا لا نستطيع

الاعتراض على مشيئة عثمان (بك) ولي نعمتنا . .

— حسن ؛ وماذا عن هداياه . .

— سأردها إليه ، ولن يمر يوم حتى يغمرنا عثمان (بك)
بهداياه النفيسة . .

ونهض وهو يرنو إليها في تودد وإعجاب وعندما مدت إليه
يدها أخذها بين يديه وقال وهو يضغط عليها في حرارة :

— ألف مبروك يا شادية ، سوف تصبحين عما قريب
زهرة من زهرات المجتمع الراقى . .

فانبسطت أسارير وجهها وقالت :

— شكراً لك يا عمى . . سأضم هذا الفضل إلى أفضالك
الكثيرة التي طوقت بها عنق . .

— لا تقولى هذا الكلام يا شادية ، أنت في مقام ابنتى
ولا يهمنى فى الحياة سوى سعادتك . .

وحوالى الساعة السابعة مساء قرر « بكير » أن يقوم بمحاولة
حاسمة لقطع علاقة شادية ببدر الدين فغادر منزله وقصد إلى
عيادته ودخل تواء إلى قاعة الاستقبال ، وكان بدر الدين قد
فرغ لتوه من معالجة آخر مرضاه . فلما رآه هرول إليه فى
هشاشة وقال وهو يحويه ويشد على يده فى حرارة :

— مساء الخير يا عمى . . أهلاً وسهلاً . . .

فرد تحيته بتحية مقتضبة ثم قال : أريد أن أسر إليك
بنبأ يا بدر . .

— أي نبأ ؟ . .

— نبأ يخصنا جميعاً ، فهل لنا أن نجلس على انفراد . .
فحذق في وجهه مستفسراً وقال :

— تفضل . . . تفضل . .

وقاده إلى مكتبه وأغلق عليهما الباب ولما استقر بهما المجلس
التفت إليه بدر الدين وقال :

— كيف حال شادية ؟

— على ما يرام .

وسكت لحظة ثم قال : لقد جئت لأرجو منك أن تسدى
إلى جميلاً . .

— أنا رهن إشارتك يا عمي ، فماذا تريد ؟ . .

فتريث قليلاً ثم قال : أريد بصراحة أن تقطع علاقتك بشادية .
فهب بدر الدين واقفاً ينظر إليه وقد تقلصت عضلات
وجهه وصاح به :

— ماذا تقول ! ! ماذا جرى ؟ . .

فأجابه وهو يتظاهر بالإشفاق عليه : إنني أرثى لك من
كل قلبي ولكنني مضطر إلى أن أكاشفك بأمر وهو أن عثمان

(بك) صاحب المصنع الذي أعمل به طلب الزواج منها فلم
نملك إلا الموافقة . .

فاحمرت عيناه واكفهر وجهه وانطلق يهيمهم :
— هذا غدر ، هذه خيانة ، أنتم لا تقيمون للعهد
وزناً . . .

فقال الآخر مغضباً : هذه إهانة ، كيف تخاطبني
بهذه اللهجة . .

— إننى لا أهينك ، ولكن من حق أن أعرف السبب
الحقيقى الذى حمل شادية على العُدُول عن رأيها . .

— قلت لك أن مشيئة عثمان (بك) لا يمكن أن ترد . .

— أهذا هو السبب أم لأننى دونه ثروة وجاهاً ؟ . .

— أراك تعاود إهانتي ، أنا منصرف . .

وهرع إلى الباب فما أن بلغه حتى ألغى بدر الدين يلحق
به ويقول :

— يظهر أننى أسأت إليك ، أرجو المَعْدرة . . .

فقاطعه قائلاً : كفى . . كفى ، لا داعى للاعتذار ،

لقد أثبت أنك شاب عصبي لا يطاق . .

فأمسك بذراعه وقال متوسلاً : أرجوك يا عمى ، لقد كانت

الصدمة شديدة الوقع على ، فاعذرنى . .

فالتفت إليه وقال في هدوء : حسناً ، والآن هل يهملك
أن ترى شادية سعيدة ؟ . .

— يهمنى ذلك جداً يا عمى ، لأننى ما زلت أكن لها كل
إعزاز ومودة وتقدير . .

— إذن عدنى ألا تتدخل فى شأن من شئونها بعد الآن . .
— أعدك بذلك . .

فمد بكير يده إلى جيوبه وأخرج ثلاث علب ثم وضعها
على منضدة وهو يقول :

— هذه هداياك ، أما السيارة فقد تركتها لك فى الخارج . .

— هذه أشياء لا تستحق الذكر ، أرجو أن تردّها إليها . .

فقال وهو يهم بالانصراف : شكراً . . . لسنا بحاجة إليها . .
وعندما عاد بدر الدين إلى مكتبه وقف بجوار النافذة المطلّة
على غرفة نوم شادية وشفتاه تختلجان ورأسه تموج بمختلف
الأفكار ، وقضى وقتاً مهتاج الأعصاب ، مضطرب الفكر ،
موزع النفس ، وأخيراً ترك مكانه من النافذة وارتمى على أحد
المقاعد وفى عينيه دموع لم تنسكب .

الفصل الخامس

وفي الساعة السابعة من مساء اليوم التالى دخل خادم « بكير » وأعلن قدوم عثمان فأسرع بكير وزوجته لاستقباله عند الباب وتبعتهما شادية على مهل فألفته ينزل من سيارة كبيرة فخمة ويتقدم فى خطى خفيفة ناحية باب الحديقة فلما أبصرها واقفة على عتبة الباب الداخلى وقف لحظة مأخوذاً ثم أسرع نحوهم متهلل الوجه وصافحهم ولما جاء دور شادية وقف قبالتها يتوسمها وهو يقول فى دهشة بالغة :

— يا عجباً ، أهذه شادية ! !

فتضاحك بكير وقال : أتراها قد تغيرت كثيراً عما رأيتهما آخر مرة ؟ . .

— للغاية ، إنها فوق كل وصف ، أعتقد أننى لم أرها مرة منذ تسع سنوات وكان ذلك عندما حضرت إلى المصنع آخر مرة ، أليس كذلك يا شادية ؟ . .

فابتسمت ابتسامة خلابة وقالت فى صوت موسيقى عذب :

— أظن ذلك يا عثمان (بيه) ، وأعتقد أننى كنت فى

ذلك الوقت طالبة بالسنة الأولى بالمدرسة الثانوية . .

ولما احتوتهم غرفة الاستقبال وفرغوا من شرب المرطبات
مد عثمان يده إلى جيبه وأخرج علبة فاخرة فيها عقد ماسى ثمين
ثم قدمه إلى شادية قائلاً :

— هذا لك يا شادية . .

فنظرت إلى العقد فى دهشة وقالت وقلبها يهفو إليه .

— شكراً يا عثمان (بيه) . .

فقال وهو يتأملها فى إعجاب شديد : أرجو أن يروقك
ذوقى يا شادية . .

فافتقر ثغرها عن ابتسامة ساطعة وقالت وهى تقلب العقد
بين يديها :

— إنه تحفة تشهد لك بحسن الذوق يا عثمان (بيه) . .

ولما ناولته لحالتها تأملته فى إعجاب وقالت : إنه بديع
جداً يا شادية . .

وانتهز عثمان فرصة انشغال شادية ونحوها بأمر العقد ومال
إلى أذن بكير وهمس قائلاً :

— هل تفهم شادية بغيتى ؟ . . .

— طبعاً ، ووافقت بسرور لا مزيد عليه . .

— آه ، شكراً ، سأعرف كيف أرد لك هذا الجميل

يا بكير . .

— عفواً يا عثمان (بك) ، إننا لا نبغى سوى سعادتك . .
 وفي اليوم التالى أمر عثمان برفع مرتب بكير من خمسين
 جنيهاً إلى سبعين جنيهاً فى الشهر وبعد ذلك بأيام قليلة أعلنت
 خطوبته إلى شادية .

وفى اليوم المحدد للقران أقام بكير فى منزله حفلاً بهيجاً ضم
 أفراد أسرة عثمان وأسرة فرج وبعض أسر موظى المصنع
 ومهندسيه ، وكان « فريد » من بين المدعوين ، كما حضر
 الحفل شبان كثيرون منهم « مجدى » الذى استطاع بنظراته
 وحركاته وأناقته أن يسترعى نظر « شادية » ويبادلها النظرات
 عدة مرات ، ومنهم جلال خطيب فائزة الذى جلس طول
 الوقت يحملق فى وجه شادية فى دهشة ساكنة ، ومنهم الدكتور
 « مختار » الذى استرعى انتباه شادية بمظهره المتحفظ الرزين
 المخالف للآخرين ، وقد أدهشها منه بصفة خاصة أنها لم تجد
 فى نفسه هذا الصدى الذى اعتادت أن تراه فى وجوه الرجال
 كلما وقعت أبصارهم عليها . واشتد اهتمامها بأمره خاصة بعد أن
 أنبأها خاله عثمان بمكانته وبعد صيته وكلف الطلبة والطالبات
 به كلفاً شديداً ، أما مختار فقد جلس طول الوقت يتأمل
 وجوه الحاضرين وكان أحياناً ينظر إلى شادية ويسائل نفسه لماذا
 اختارت هذه الفتاة الحميلة خاله الذى يكبرها بأربعين عاماً

والذى تنقصه الوسامة والجاهزية ، حقاً أن خاله رجل ثرى ولكن الدكتور بدر الدين كما سمع من بعض الحاضرين كانت لديه هو الآخر ثروة طائلة فلماذا يا ترى آثرت خاله عليه ، وهكذا عجب كل منهما وحرار في أمر الآخر وعجز عن الاهتداء إلى سره ، وارتقب أن تكشف له المناسبات من أخباره ما كان جاهلاً .

وبعد أن انقضت مراسم الحفل انقسم الحاضرون إلى جماعات وراحوا يتجاذبون أطراف الأحاديث في حجرات المنزل وحديقته ، وتحيّنت شادية خلوة بالدكتور مختار فوقفت في ردهة تتحدث معه في مرح قائلة :

« تسرني معرفتك كثيراً يا دكتور مختار . .

فابتسم لها وقال : أشكرك ، لست أقل منك سعادة بهذا التعارف . .

فنظرت إليه بعينها الحميلتين وقالت :

« لقد أخبرني عثمان (بك) أنك علامة في علم النفس ، ولك بطبائع الناس خبرة كبيرة . .

فتضاحك قائلاً : إن خالى يبالغ كثيراً فيما يصفى به ، ولكنى لا أنكر أنى أحب دراسة طبائع الناس حباً لا مزيد عليه .
« هل تستطيع أن تكشف عن شخصية الإنسان بسهولة .

— إننى أستطيع أحياناً أن أكشف عن النفس البشرية من تصرفات صاحبها . .

— وهل النفس البشرية بسيطة إلى هذا الحد ؟ . . .

— بالعكس ، إن النفس البشرية عالم غريب معقد ، وأعجب ما فى الأمر أن الإنسان لا يعرف نفسه ، لأنه يخضع فى كثير من تصرفاته إلى سلطان اللاشعور ومنطقه ، ومنطق اللاشعور منطق غريب عن كل منطق ، ولهذا يتعذر على الإنسان العادى فهم النفس البشرية وتفسير سلوكها تفسيراً صحيحاً ما لم يكن على علم تام بأصول علم النفس والتحليل النفسى . . .

وكانا وهما فى موقفهما يريان بوضوح مجموعتين من المدعوين يتجاذبون أطراف الحديث فى حجرتين متجاورتين ، وكان « مجدى » أبرز أفراد المجموعة الأولى بينما كانت « فائزة » أبرز أفراد المجموعة الثانية ، ونظرت شادية إلى ناحية فائزة وقالت لمختار :

— يا لها من فتاة ساحرة ، أعتقد أن لأختك شخصية نادرة .

— لقد كانت كذلك فيما مضى ، أما الآن فلم يبق لها من ذلك شيء كثير فى نظرى . .

- ولماذا ؟ هل لى أن أعرف السبب . .
- سأطلعك عليه لأنه موضوع يدعو إلى التأمل . .
- إنك تشير فضولى للمعرفة . .
- لن أخفى عنك شيئاً ، أترين هذا الشاب الوسيم الذى يجلس فى الحجرة المجاورة لحجرتها . .
- نعم ، ما خطبه ؟ .
- إنه يدعى « مجدى » وهو الابن الوحيد لفرج (بك) ويشغل فى المصنع سكرتيراً لأبيه . .
- وسكت لحظة ثم قال : إنه شاب مغرور مفتون لا يفهم الحياة إلا على أنها لهُ وعبث ، وكل ما يهيمه منها هو الاستمتاع بملذاتها ، وكان من سوء حظ أختى أنها وقعت فى حبه ولكنه لم يقدر عواطفها وانصرف عنها إلى غيرها ، وأفزع ما فى الأمر أنها ما زالت تحتفظ بحبه رغم أنها مخطوبة لابن عمها الذى لا يعرف عن ذلك شيئاً ، وإذا عرف فلن يصدق لأنه يعتبرها المثل الأعلى للفتيات ، ولست أدري إلام ستظل شخصية مجدى مسيطرة عليها على هذا النحو . .
- إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا تنصحبها بالتخلى عن حب مجدى . .
- لا فائدة من ذلك لأن أبشع ما فى غرائزنا أننا نزهد

في كل ما نملك وتهفو نفوسنا إلى ما في أيدي الآخرين ،
وهذا لا شك أثر من آثارهمجيتنا الأولى . .

وكان وهو يتكلم ينظر إليها ملياً فأحست بعينيها الزرقاوين
البراقتين تنفذان إلى أغوارها وتستقران في أعماق روحها وتشيران
في نفسها قلقاً مبهماً لا تعرف كنهه . وبعد لحظة قال لها :

— أرجو ألا أكون قد ضايقتك بالكلام في هذا الموضوع
الجدى الممل . .

— أبداً . . . أبداً ، إنه موضوع شائق جداً وكم أحب
أن تشرح لي ما قلته بالتفصيل . .

— أشكرك ولكن لا بد لي من الانصراف الآن لأنني مرتبط
بموعد ، إلى اللقاء ، واعلمي أنه يسرني كثيراً أن تزورينا في
حلموان في صباح كل يوم جمعة فأنا موجود دائماً في ذلك الوقت
بالمنزل ولا أبرحه إلا نادراً .

وما كاد الدكتور مختار يودعها وينصرف حتى رأت
« مجدى » مقبلاً وحده وهو يصلح رباط عنقه ، وتلفت مجدى
حوله لحظة ثم دنا منها باسطاً يده وهو يقول في بشاشة :
— شادية هانم ، كم أنا سعيد بهذه الفرصة .

فصافحته وهي تتفحصه ، واسترعى انتباهها منه ما يشيع
في عينيها من سحر وجاذبية وما اجتمع في كيانه من حيوية

الشباب وأناقة المظهر . . . وكان هو البادئ بالحديث فقال لها :
 - لم يتيسر لي أن أقدم نفسي إليك أثناء الحفل لأنني
 جئت متأخراً ، أنا مجدى بن فرج (بك) ..

فتظاهرت بالدهشة البالغة وقالت :

- أوه ، أنت مجدى !! يا إلهى ما أشد حماقتى وأنا
 أظنك أحد المدعوين فى الحفلة .

فضحك ضحكة لطيفة ، جاذبته إياها فى مرح ، وصمت
 قليلا ثم قال وهو يتوسمها فى اعجاب :

- أعتقد أن الغلطة غلطتى ، كان يجب أن أعرفك
 بنفسى بعد انصراف المأذون ولكنى لم أستطع لشدة الزحام . .
 فابتسمت ابتسامة باهرة وقالت :

- لا ضير فى ذلك ، أعتقد أنه كان يجب أن أعرف
 ذلك بنفسى عند حضورك أثناء الحفلة .
 - ومن أين لك أن تعرفى ؟ .

فتضاحكت وقالت : مما سمعته عندك .

فقال مشرق الوجه وهو يبادلها النظرات :
 - وماذا سمعت عنى ؟ .

فقال فى دلال وهى تتصنع الحجل :

- سمعت أنك نموذج للشباب العصرى .

فقال مبتسماً : من قال لك ذلك ؟ .

فقالت مداعبة : وإذا لم أخبرك .

فنظر إليها بعينين والهتين وقال وهو يلمس يدها دون كلفة — أرجوك يا شادية .

فحدقت في وجهه برهة ثم قالت : أيهمك ذلك إلى هذا الحد .

فقال وهو يتطلع إليها في شغف :

— يهمنى جداً أن أسمع ذلك منك يا شادية .

فقالت في لطف ورقة : ما دمت تصر فاعلم أنني سمعت ذلك من أكثر من شخص ، أيكفيك هذا ؟ .

فازداد غبطة وابتهاجاً وقال : هذا يكفيني الآن ، وبهذه المناسبة دعيني أخبرك بما سمعته أنا الآخر عنك .

— ماذا سمعت عني ؟ . .

— سمعت أنك بارعة في قيادة السيارات ، أهذا صحيح ؟ .

— كلا ، هذه مبالغة ، إنني ما زلت بادرة . .

— إذن ستسمحين بأن أعطيك درساً أو درسين كل

أسبوع بعد حضورك إلى المعادى .

وظفق بعد ذلك يحدثها عن الحياة البهيجة التي تنتظرها

في المعادى ومدى الصداقة التي تربط بين عثمان وأسرته من

قديم الزمان وبعد أن فرغ من حديثه مدت إليه يدها فأمسكها
وضغط عليها ضغطة ذات مغزى وانصرف .

وكانت المناسبة التي أقيم من أجلها هذا الحفل ضربة قاسية
لبدر الدين انحطم لها قلبه واندكت لها آماله كلها ، وعندما
علم بموعد الحفل ذهب في المساء إلى عيادته وأغلق عليه باب
مكتبه ثم وقف إلى جوار النافذة المطلة على غرفة نوم شادية
وظل واقفاً يراقب نافذتها واجمأً محزوناً عاجزاً كل العجز عن أن
يجد من قوة أعصابه ما يخفف من وطأة حزنه ولوعته وأساها ،
وفيما هو يراقب نافذتها قرب الساعة العاشرة مساء لمحها تدخل
الغرفة في الظلام ثم ألفاها وهي في ثوبها الناصع البياض تقترب
من النافذة وتنظر ناحيته ، فجمد في مكانه ولم تمض لحظة
حتى سمعها تقول :

— مساء الخير يا بدر . .

فجفل وأجاب لاهث الأنفاس : مساء الخير . . .
مبارك يا شادية . . .

— أنا آسفة يا بدر . . . لم يكن الأمر بيدي .

— لك الله يا شادية ، أهذا جزائي ، لماذا بالله نبذتيني
وهدمت كل ما شيده الأمل والحب في قلبي ؟ .

— ألم يخبرك « بكير » بالسبب .

— ولماذا لم ترفضى ، أراضية أنت عن هذا الزواج
يا شادية . .

— أنت تعلم أن عثمان (بك) صاحب فضل علينا . .
— ولكن ليس هذا عدلا ، كيف تتزوجين رجلا فى
سن أبيلك . .

— لقد قلت لك كل ما يمكن أن يقال يا بدر . .

— وهل قدرت ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى . .

— لا تحزن يا بدر ، حاول أن تنسى .

— أنت تمزقين قلبي بهذا الكلام .

— لأننى أريد أن أواسيك ولكن يظهر أننى لن أستطيع

ومع ذلك فثق أننى لن أنسى صداقتك أبداً ، وداعاً يا بدر . .

وتركته عائدة إلى الداخل ولما استخفى شبحها وقف وقتاً

بلا حراك ثم ارتقى على مقعد يملكه اضطراب عنيف .

الفصل السادس

وبعد ثلاثة أشهر احتفل عثمان بالزفاف في المعادى احتفالاً رائعاً وانتقلت « شادية » على الأثر إلى منزله لتحييا فيه معه حياة الزوجية ، وعندما اختلى عثمان بزوجته الحميلة في مخدعهما عقب خروج المدعوين قال لها ملاطفاً وهو يضع يده على خدها :

— الآن أنت لى وحدى .

وفجأة لف ذراعيه حول خصرها وأهوى بفمه على فمها ثم اندفع يحتضنها بقوة وهو يهمهم :

— يا إلهى . . . ما أشهاك . . .

ثم أخذ يقبلها فى جموح نائر وهو يهصر خصرها هصراً ولم تحاول مقاومته فى أول الأمر ولكنها ما كادت تحس يده تعبث بصدرها حتى استخلصت جسدها من بين ذراعيه وهى تصيح به :

— لا . . . لا . . .

وما كادت تفلت منه حتى لاذت بركن الغرفة وهى تلهث ، فتقدم ناحيتها فى دهشة وهو يقول :

- ماذا بك يا شادية ؟ ..
- لست أحب أن تسلك معي هذا المسلك مرة أخرى .
- أى مسلك ! ! أأست زوجتي ؟ ..
- بلى ، ولكنى لا أحب أن تعاملنى بهذا العنف .
- هل آلمتك إلى هذا الحد ؟ ..
- قلت لك إننى لا أحب هذه الطريقة ..
- لعله كان يجدر بى ألا أندفع هذا الاندفاع ولكن ما حيلتى يا شادية وأنا متم بك ..
- ثم جذبها من يدها بلطف وقال وهو يحاول إجلاسها على المقعد :
- هدئى من روعك ، أخائفة أنت ؟ ..
- لست خائفة ولكنى لا أطيق هذا .
- فجلس إلى جوارها وراح يجاذبها أطراف الحديث ثم نهض بعد وقت ناحية الفراش وقال لها فى رقة وهو يمهدها مكاناً عليه :
- تعالى يا شادية ..
- فانتابتها رجفة شديدة وتراجعت فى مقعدها وكأنما أفرعها منظر الفراش وصرخت :
- لا ... لا ... لا ...

فنظر إليها في دهشة بالغة وقال :
 — ما هذا يا شادية ، أنت طفلة ، ألم تتوقى مثل هذا
 الأمر ؟

فقالت وصدرها يعاو ويهبط من شدة الانفعال :
 — لماذا لا تؤجل ذلك بضعة أيام . .
 فعاد إليها وجعل يسكن روعها ويطمئنها إلى أن استرجعت
 جأشها ثم قال لها :
 — ألا ترين أنك غريبة الأطوار يا شادية . .
 — أحسبني كذلك . . .
 — ما الذى يفرعك ؟ . .
 — لست أدري . .
 — ألسنت زوجك ؟ . .
 — بلى ولكنى لا أطيق تصور هذا العمل . .
 — ولكنك وافقت على زواجى ، والخطوة التالية هو أن
 تقبلى هذا .

— قلت لك أمهلنى أياماً ، وإلا فطلقنى إذا شئت . .
 فنظر إليها في دهشة وجزع وقال :
 — أطلقك ! ! ما هذا القول يا شادية ، أنت مريضة ؟ .
 — ليس بى مرض . .

فحملق فيها واجماً ثم قال وقد راودته فكرة اقشعر لها بدنه :
— أصدقيني يا شادية ، هل تخفين عني سرّاً .

— إننى لا أخفى عنك شيئاً . .

— إن هيثتك توحى إلى أنك صادقة ، فهل تغير طريقتي
هو كل ما تبغين ؟ .

— نعم ، إننى أكره أن يعبت إنسان بجسمى على هذا
الصورة ، فإذا رضيت بمعاشرتي على النحو الذى يروقنى
كان بها وإلا فلا بقاء لى هنا . .

فجلس صامتاً لحظة ثم قال وقد انخذلت ارادته وتداعى
تصميمه :

— كما تشائين يا شادية ، أعدك ألا أصنع شيئاً يخالف
مشيئتك . .

وانتهى الأمر بين الزوجين إلى نزول عثمان عن جزء كبير
من حقوقه فعاش معها وهو يشعر بأنه شخص معذب لأنه
كان يملك أطيب الثمار وأحبها وألذها دون أن يستطيع أن يذوقه
أو يمد إليه يداً ، ولكنه كان مع ذلك شديد الحب لها ، شديد
الثقة بها يصدقها إذا قالت ويؤيدها إذا فعلت ويدعن لها فى
كل ما تريد حتى انمحت إرادته أمام إرادتها فى كل أمر جل
أو هان .

وتواصلت أيام الشهر الأول دون أن يقع شيء يستحق الذكر وكل ما حدث هو أن عثمان استطاع بعد حيلة وجهاد وتوسل واستعطاف أن يدخل بها ويتأكد من أنها عذراء وإن كان لم ينل منها كل ما يشتهي .

وكان عثمان قد ازم الدار بعد الزفاف أسبوعاً ثم استأنف عمله في المصنع ، فكان يغادر منزله في الثامنة صباحاً ويعود إليه في الثالثة بعد الظهر ، وكان فرج وزوجته وابنه « مجدى » يزورونه هو وزوجته في كل وقت ، وكان هو وشادية يزورانهم مرة كل يوم ويلتقون جميعاً على العلات لا يضربون للقاء موعداً ولا يهيئون له أسباباً . وأتاحت هذه الزيارات لمجدى من لقاء شادية والحديث إليها ما لم يتح لغيره من قبل دون أن يتعرض أمره لريبة أو يدعو إلى شبهة لشدة مبالغته في التحفظ أمام عثمان ونرجس فلم يلاحظا قط في تصرفاته مع شادية شيئاً يدعو إلى التفكير أو يشير في النفس من سوء الظن قليلاً أو كثيراً . أما في الخفاء فقد أحست شادية بعواطف مجدى ومحاولاته تحييط بها وتغمرها ، ثم ما لبث أن ألح وغلا في الإلحاح وجعل يتبعها ويقفو آثارها كلما خرجت من المنزل في الصباح لشأن من شؤونها ، وكانت شادية ترى هذا الإلحاح وتجده في نفسها لذة في الاستزادة منه ألا لشيء إلا لإرضاء لهذا الميل الغريب

الشاذ الذى كانت تحسه كلما رأت رجلاً يقع فى شباكها وينتهى به الأمر إلى محنة من المحن .

وذات يوم وقد انصرف عثمان إلى عمله ، دخلت شادية غرفتها وبعد أن لبست ثوباً من أجمل ثيابها وقفت أمام المرآة تتزين وتتعطر وتتأمل نفسها ثم ابتسمت فى زهو وخرجت وركبت سيارتها إلى محلات شيكورييل ، ولم تكد تدخل المحل بطلعتها الباهرة حتى تطلع إليها عدد كبير من الرجال والنساء وتمامس بعضهم فيما بينهم :

— تبارك الخلاق .

— ما أجملها .

— ما أملحها .

فانشئت تنظر هنا وهناك دون أن تعيرهم التفاتاً وانبرى لها موظفو المحل كل يحاول عرض بضاعته وإغراءها بالشراء منه دون الآخرين فاشترت مجموعة من الجوارب الفاخرة ثم خرجت ولم تكد تغادر باب المحل حتى رأت « مجدى » ينتظرها بجوار باب سيارتها ، وحين وقع بصره عليها أسرع إليها باسم المحيا وبأدركها بقوله :

— أهلاً . . . أهلاً ، مصادفة مدهشة ؟ . . .

فابتسمت وقالت وهى تصافحه :

— أهلاً بك يا مجدى ، ماذا جئت تفعل هنا ؟ .
 — كنت على موعد مع صديق فلما رأيت سيارتك جئت
 لأراك ، إلى أين أنت ذاهبة ؟ . .
 — إلى المنزل . .

فرفع إليها بصره وقال وهو يتوسمها ملياً :
 — أسمحين لى بمرافقتك قليلاً . .
 فهزت رأسها وقالت وهى تبتسم فى رقة :
 — لأننى أفضل أن أعود بمفردى .
 فأمسك بيدها فى جراحة غريبة وقال :
 — ماذا ؟ ألا تريدان أن أرافقك لأعلمك طريقة القيادة
 الصحيحة ؟ ألم توافقى على أن أعطيك درساً أو درسين فى
 الأسبوع .

فتضاحكت قائلة : هل قلت لك لأننى موافقة ؟ . .
 فقال وهو يضبط يدها فى شغف وهيام :
 — أتوسل إليك يا شادية — فهزت رأسها وتمنعت ولكنه
 ما زال بها حتى وافقت وأذعنت لإرادته .
 ولما تقدمت للركوب سارع إليها آخذاً بذراعها فى حذق
 ورشاقة ، وتولى هو القيادة وسألها وهو يخفى احتياجه :
 — إلى أين ؟

— إلى أول طريق مصر القديمة .

— ألا ترغبين في نزهة قصيرة ؟ .

— أين تريد أن تذهب .

— إلى شارع الهرم .

— كما تريد ولكن على شرط .

— ما هو ؟ .

فأجابته : ألا نمكث هناك أكثر من ربع ساعة .

وتحركت السيارة بهما إلى شارع الهرم وانطلق مجدى فى حديثه وهو ينظر حوله فى نشوة بالغة وتطارحا أحاديث مألوفة فى شأن المصنع وموظفيه وعندما بلغا مينا هاوس بادرها بقوله :

— ألا تحبين أن نقضى بعض الوقت هنا ، أرجو أن

تقبلى دعوتى . .

— كما تبغى ، فقط أرجو ألا نمكث طويلا حتى

لا يرانا أحد .

— اطمئنى ، أن أحداً لن يرانا لأن المكان يكون عادة

مقفراً فى مثل هذا الوقت .

وتخيرا منضدة متطرفة بين الحمائل ولما حضر الجرسون

طلبت شادية شراب الليمون وطلب مجدى زجاجة شمبانيا وكأسين

وبعد لحظات عاد الجرسون وتولى مجدى تقديم شراب الليمون إلى شادية فلما فرغت من شربه قدم لها كأساً من الشمبانيا فتمنعت قائلة :

— لا . . . لا يا مجدى ، اعذرني .

— أرجوك يا شادية ، الجلسة لا تحلو إلا بهذا .

وأدنى الكأس من فمها فلم تجد بدءاً من الشرب وأستأنفا الحديث فجعل يقص عليها نتفاً من حياته وفي أثناء ذلك أخرج من جيبه علبة سجائر ذهبية وقدم إليها سيجارة فاعتذرت فنظر إليها قائلاً :

— ألم تدخني من قبل يا شادية ؟

— أبداً .

— إن التدخين متعة ، فحاولي .

وأدنى السيجارة من فمها فحاولت أن تأخذها منه بيدها ولكنه أصر على أن يضعها بنفسه وأخذ يلح حتى فرجت شفتيها وأطبقتها عليها .

ونفضا بعد نصف ساعة وفي الطريق إلى الباب أمسك بذراعها وأوقفها أمام حوض حافل بالورود الجميلة ثم قال :

— أتحبين الورد ؟

— جداً . . .

فراح يجمع لها أشتاتاً منه ويبادلها إياها وهو منحني ثم
انتقى لها وردة حمراء كبيرة ونهض واقفاً وأدناها من صدرها
فقلت وهي تتراجع :
— لا . . . لا . . .

وسارعت فحالت بأناملها بين يده وبين نهديها فقال
وهو يرنو إليها في انفعال مكبوت :
— أرجوك يا شادية . .

وألح حتى سمحت له برشق الوردة في جانب من صدرها .
وعندما ركبا السيارة التفت إليها وقال :
— والآن أتريدين أن أعطيك الدرس الأول .
— الوقت ضيق ، أوتر أن أعود .
— لا . . . لا ، أمامنا فسحة من الوقت .

وانطلق بالسيارة مسرعاً صوب الطريق الصحراوي وهو
يثرثر مطرباً براعته في القيادة ، وتصاعد بهما الطريق حتى
انبسطت من دونهما الصحراء رحبة مترامية الأطراف ، ثم
أشرفا على جزء من الطريق بدا شديد الالتواء كالأفعى فراعها
اندفاع مجدى وقالت في شيء من الخوف :

— حذار يا مجدى ، إنك تسير بسرعة مخيفة في طريق
غير مأمونة .

فقال في مباهاة واستخفاف :

— عجباً يا شادية ، أتخافين وأنت معي . .

وزاد من السرعة فانطلقت السيارة تطوى الأرض طياً
وكان في أثناء ذلك يرمقها بنظرات مهمة ويحرق في ساقها مشغولاً
وبعد لحظات حمى صدره بانفعال جياش فمد يده محاولاً
تطويقها وهو يقول :

— أما زلت خائفة ؟ .

فقالت وهي تتمايل من ذراعه : أرجوك أن تهدئ من
سرعتك قليلاً .

فقال وهو يعاود مد يده إليها : لن أفعل إلا إذا أعطيتني
ما أريد . .

فشخصت ببصرها إليه وسألته : وماذا تريد ؟ .

وتلاقت نظرتهم هنيهة وفي لمح البصر مال على وجهها واختطف
من ثغرها قبلة ملتبه فأبعدته قائلة :

— لا . . . لا . . . أرجوك يا مجدى .

فقال في صوت متهدج وهو يوقف السيارة :

— والآن نستطيع أن نتبادل مكانينا ، تعالى إلى هذا الجانب

لتتولى القيادة .

وعندما تحركت لتأخذ مكانه جذبها إليه في قوة واندفع
يحتضنها في وله واشتياق وهو يغمغم قائلاً :
— أحبك يا شادية . . . أحبك . . .
وأراد أن يتمادى ولكنها استطاعت أن تتخلص منه في خفة
عجيبة ولما حاول تقبيلها مرة أخرى قالت له منتهرة :
— كفى يا مجدى وإلا فلن أخرج معك مرة أخرى .
وبعد لحظات كانت السيارة تشق بهما الطريق عائدة إلى
البحيرة .

الفصل السابع

وبعد هذه المقابلة أحست شادية بمجدي يضيق عليها الخناق بصورة مزعجة فكانت كلما خرجت في الصباح إلى مكان للتنزه أو لشراء بعض حاجياتها وجدته قد سبقها إليه حتى لقد خيل إليها في بعض الأحيان أنه يهبط عليها من السماء أو ينبت لها من جوف الأرض ، وانجلت لشادية بعد أربعة أشهر من الزمان حقيقة أخرى وهي أن جلال خطيب فائزة قد وقع هو الآخر في غرامها وغرق فيه إلى أذنيه ، وكذلك كان الحال بالنسبة لفرج فقد أحست به ينحصرها بنظرات تطلع واهتمام وإذا اتفق لهما أن يختليا رآته يخرج عن تحفظه المعهود ويتلطف معها ويبادلها النكات ويلقى على مسامعها كلمات الإعجاب والإطراء .

وذات ليلة أقامت « فائزة » في دارها بحلوان ، حفلة شائقة بمناسبة عيد ميلادها دعت إليها أسرة عثمان وفرج ومجموعة كبيرة من صديقاتها وأصدقاء خطيبها جلال ، ولما حضرت شادية حلق فيها معظم المدعوين من فرط الدهشة وعندما لحظ مجدي تأثيرها العجيب فيمن حولها استولت عليه غيرة

شديدة فاضطربت حركاته وشحب لونه وفاض قلبه بعواطف
 نائرة لم يكن له بها عهد ، ورغم أنها نظرت إليه وابتسمت له
 في عذوبة ورقة مرة أو مرتين إلا أنه أحس من نظراتها وحركاتها
 أنها في شغل عنه ، وعجب من نفسه وهو ينظر إليها أشد
 العجب ، لقد كان يعتقد في نفسه دائماً أنه من نوع الشبان
 الذين لا يعرفون الحب إلا أنه لون من العبث والغزل
 والخداع والتزوات العابرة ، فكيف يخفق قلبه بهذا الحب
 لزوجة رجل في مقام والده ، وكيف يسقط بهذه السهولة في
 دوامة هذا الهيام العنيف الذي أضناه وعذبه وأقضى مضاجعه .
 وشعر مجدى فجأة بنوبة من الحقد تجتاح قلبه نحو عثمان
 وراودته سلسلة من الأفكار المسمومة راحت تحز في نفسه طول
 الساعات التي قضها في الحفلة . وكانت « فائزة » تراقبه عن
 بعد وتراقب نظراته التي تم عن حقيقة مشاعره نحو « شادية »
 فاشتعلت في قلبها نيران حامية من الغيرة والكراهية والغضب ،
 وحز في نفسها أن تأسر شادية بجمالها ذلك الشاب الساحر
 الذي حطم قلبها وداس عواطفها بقدميه .

وظل مجدى مايقرب من ربع ساعة يتطلع عن كئيب إلى
 شادية وفي عينيه ضوء غريب ، وكانت شادية في هذه الأثناء
 واقفة وسط مجموعة من السيدات وهي تتألق كزهرة فواحة

العبير تتحدث تارة وتتضحك تارة أخرى ، وسمع مجدى إحداهن تقول لعثمان على مسمع من زوجته :

— ما أسعد حظك ، إن شادية هانم درة نادرة .

فأجابها عثمان وهو يضع يده على كتف شادية في محبة وإعزاز :

— بكل تأكيد ، إن شادية مثل أعلى في كل شيء .

فقالت شادية ضاحكة وهي تنظر إلى زوجها في جدل :

— إنك تدلنى بهذه العبارات الحميلة يا عثمان .

وكان مجدى مستغرقاً في الاستماع إلى هذا الحوار وهو يقول لنفسه — حقاً إن الزوج هو آخر من يعلم — وأحس بالغيرة تنهش صدره من عثمان ومن الرجال الملتفين حولها ، ومن ذلك الشاب الوهمى الذى كان يتصوره دائماً في منامه ويقظته كغريم ومنافس له ، وفيما هو سابح في أفكاره أحس يداً توضع على كتفه فاستدار بسرعة وهنا وقع بصره على فائزة التى ابتدرته قائلة :

— هالو مجدى ، ألك في قدح من الشاي ؟ .

فلعنها في سره لأنها أضاعت عليه فرصة للانفراد بشادية ولكنه غالب ما بنفسه وقال لها :

— بكل سرور . .

— إذن هلم بنا . .

وقبل أن يبرح مجدى القاعة ألقى نظرة سريعة تجاه شادية فوجدتها ما زالت مستغرقة فى الحديث مع زوجها ومن معه وأيقن من هيئتها أنها لا تكاد تشعر بوجوده على الإطلاق فغشى وجهه سحابة من الغيظ والحلق والكمد وانصرف برفقة فائزة ورأسه تموج بشئ الأفكار والخواطر . وبعد وقت انفصلت شادية عن زوجها ومن معه فى القاعة وراحت تنتقل بين مجموعات السيدات تحدث بعضهن تارة وتسمع إلى البعض الآخر تارة أخرى ، وفيما هى فى ذلك أقبل عليها جلال وجعل يتحدث معها ثم أظهر الرغبة فى أن يخرجها إلى الشرفة فتمنعت فى أول الأمر ولكنه لم يأبه لتمنعها وألح حتى ظفر آخر الأمر بما أراد فأخرجها من القاعة دون أن يتنبه لذلك أخذ وسار إلى جانبها يحادثها ويتندر معها إلى أن بلغا الشرفة ولما استقر بهما المجلس راحا يتجاذبان الحديث فى موضوعات شتى إلى أن تطرق الكلام إلى الحديث عن الدكتور مختار فقال جلال :

— إننى أحبه ولكننى أكره نظرياته وفلسفته . كرهاً لا مزيد عليه . .

فلما سمعت شادية هذا الكلام نظرت إليه مستفسرة وقالت :

— أحقاً ، ولماذا ؟ .

— لأننى أعتبره هو وأمثاله من أسباب تعاسة هذا العالم وشقائه ، فكل شىء فى نظرهم له أصل فى النفس ، وكل تصرف له تعليل وتحليل ، وكل حب أو كره يسرى فيه الجنس ، ألا توافقين على أن هذا شىء لا يطاق . .
— بالعكس ، لأننى أميل إلى تأييد وجهة نظره فى أشياء كثيرة . .

فقال لها : حذار يا شادية وإلا تبليت أفكارك ، ثنى بكلامى واسمعى نصيحتى .

فنظرت إليه برهة ثم قالت له مبتسمة : لأننى أقدر نصيحتك حق قدرها ولكن دعنى أسألك سؤالاً ألا تعتقد أنه كان على صواب حين قال أن لكل إنسان نزوة وأنه لا يوجد إنسان يمكن أن يدعى أنه مبرأ من كل عيب .

— بكل تأكيد ، فليس هناك إنسان يمكن أن يدعى أنه مبرأ تماماً من كل عيب .

فقالت مبتسمة : ما دام الأمر كذلك فما عيب الدكتور مختار فى نظرك .

— إن عيبه الأساسى هو الغرور .

— وأنت ، ما عيبك ؟ .

— عيبى أننى أتحدث فى صدق وصراحة وهو ما لا يفعله

أكثر الناس ، وآية ذلك أننى لم أستطع إخفاء إعجابى بك
عندما صارحتك مرة بحقيقة واقعة وهى أن تأثيرك فى الرجال غريب ،
وأن الذى يحبك لا يستطيع أن يتحرر من حبك أبداً ولا يمكن
أن يستغنى عنه يوماً من الأيام .
— أوه ، هذه مبالغة . .

— لا تغالطى نفسك يا شادية ، إنك بلاشك من نوع
النساء القلائل اللاتى يستطيعن الفتك بالرجال من أول نظرة ،
وأعتقد أنك تعرفين هذه الحقيقة كما أعرفها لأننى خبير بأنواع
النساء أكثر من أى رجل آخر بحكم تجاربى الكثيرة فى المحاماة ،
ولكثرة ما قرأته عنهن فى الكتب الأجنبية المتخصصة . .
— إذن دعنى أسمع رأيك فى فائزة ، أنها بلاشك فتاة
نادرة . .

— إنها فتاة لبقة عاقلة ولكنها غير عاطفية .
— ماذا تعنى بذلك ؟ . .
— أعنى أنها عقل أكثر منها عاطفة والعقل ليس من
الملكات التى أحبها فى النساء ، ولذلك كثيراً ما تبدو لى كأنها
فليسوف كرس حياته لهداية الناس . .
— وهل تعد هذا عيباً ؟ . .
— نعم يا شادية ، إن الشباب يجب ألا يضع سدى ،

يجب أن نتمتع به إلى أقصى حد قبل أن نتحول إلى دمي كهلة لا نفع فيها ، ولقد أدركت لأول وهلة أنك تجهلين المصير الذى ساقوك إليه حين أرغموك على هذا الزواج فأشفقت أن يضيع منك هذا الشباب المتفتح العجيب مع كهل لم يبق أمامه سوى سنوات معدودة .

فقلت معترضة : أوه يا جلال ، لا تتحدث هكذا عنه ، إنه على كل حال رجل طيب لا يدخر وسعاً فى إسعادى ، وفى هذا الكفاية .

— لا . . . لا ، هذا ليس كافياً لسيدة فاتنة مثلك تحسدها النساء على شبابها الساحر وجمالها المنقطع النظير ، خذى بنصيحتى يا شادية وانعمى بالحياة المتفتحة فيك ولا تبغرى جمالك وشبابك فى الاستماع إلى المواعظ التى يثرثر بها أمثال عثمان ومختار وفائزة .

فاهتز فؤادها لكلماته وبعد لحظة نهضت واقفة وهى تقول :

— أشكرك يا جلال على هذا الحديث ، ما كنت أظنك خبيراً بالنساء إلى هذا الحد . .

— ولكننى لم أكمل حديثى بعد ، لماذا أنت متعجلة . .

— يجب أن أذهب الآن . .

— ألا أصبحبك ؟ . .

— شكراً ، الأفضل أن يذهب كل منا في طريق .

— حسناً ، ولكن لا تنسى أن للحديث بقية .

— طبعاً . . . طبعاً ، تأكد أن ذلك يسرنى ، إلى اللقاء . .

وعندما مدت إليه يدها رفعها إلى فمه وطبع عليها قبلة طويلة أودعها ما يفيض به قلبه من شغف وشوق وهيام .

وغادرت شادية الشرفة واتجهت صوب القاعة الكبرى وكان عليها لكى تصل إليها أن تمر بردهة طويلة مطلة على الحديقة وفيما هى سائرة فى طريقها سمعت أصواتاً غريبة تنبعث من ركن فى الحديقة فتوقفت لحظة ثم قصدت أقرب نافذة وأرسلت بصرها من وراء المصراع إلى مصدر الصوت وهناك رأت فى ضوء القمر مجدى وفائزة واقفين بالقرب من إحدى الحمائل وهما يتجادلان فى شىء من العنف فأرهفت إليهما سمعها وبعد هنيهة سمعت « مجدى » يقول فى حنق ونفاد صبر

— كفى . . . كفى ، دعينى أذهب . .

فأجابته فائزة فى توسل واستعطاف :

— أتوسل إليك أن تمكث قليلاً ، كم أود أن أحدثك

بكل ما عندى . .

فقال فى جفاء : وما الفائدة ، أنسيت أنك مخطوبة

وعما قريب ستصبحين زوجة ..

— لست أبالي ، لأننى أمقتة ، أتدرى لماذا ؟ ..

فسألها : لماذا ؟ ..

فقالت وهى تمسك يده وتضمها إلى صدرها فى شغف

وهيام :

— لأننى أحبك يا مجدى ، ولأن حياتى لن تكمل إلا بك .

فهز رأسه فقالت : لقد كنت أبغى أن أسعدك وأتمنى

الزواج منك من كل قلبي لأنك الإنسان الوحيد الذى علمنى

معنى الحب ..

فقال فى اقتضاب : أعلم ذلك ..

— إذا كان الأمر كذلك فلم أعرضت عن محبى .

فلم يجب فقالت وهى ترفع يده إلى شفثها : مجدى ،

لماذا لا تتكلم ..

فقال فى تبرم : وماذا تريدن منى أن أقول ؟ ..

فقالت : لقد قلت لى يوماً إنك تحببى ، وإنك تعدنى درة

بين الفتيات ، فهل ما زلت عند رأيك ؟ ..

فأجابها قائلاً — وما فائدة ذلك الآن ؟ ..

— إن كنت ما زلت تحببى فخذنى معك حيث تشاء

ولنعش فى عزلة عن الناس ..

فقال في ضجر وهو يسحب يده من بين يديها :
 - فائز ، يجب أن نفرق الآن قبل أن يرانا أحد . .
 فاندفعت تحتضنه وهي تهتمهم بكلمات الحب والهيام
 فوقف جامداً لحظة ثم ما لبث أن دفعها بعيداً عنه وهو يقول :
 - كفى . . . اذهبي قلت لك . .

فجشت عند قدميه وانبعث منها أنين مكتوم :
 - لا تتركني . . . اضرع إليك ، لا تتركني . .
 وخنقتها الدموع فلم تقو على الكلام وظلت طريحة كأنها
 حيوان جريح فنظر إليها في غير اكتراث وقال :
 - أنا ذاهب ، ولن أعود إلى هنا مرة أخرى . .

فرحفت نحوه ومدت يدها كأنها تريد أن تستوقفه ولكنه
 أولاها ظهره وترك الحديقة ومضى مسرعاً نحو سيارته التي كانت
 تنتظره بالباب .

وما إن اختفى شبهه حتى تحولت شادية من مكانها قرب
 النافذة وقد ارتسم على وجهها تعبير غريب مخيف يحمل كل معاني
 القسوة بعد أن كان آية في الصفاء . وعندما آوت إلى مخدعها في
 منتصف الليل تسربت إليها من عقلها الباطن خواطر مزعجة
 هزت كيائها وأقضت مضجعها ساعات طويلة دون أن تدري
 لذلك سبباً مقنعاً ، وحاولت في الصباح تحليل هذا الشعور

الرهبان الغريب الذي ملأ قلبها من هذا الموقف المهين الذي وقفه مجدي من فائزة ولكنها عجزت عن الوصول إلى كنهه ومعرفة جليته .

الفصل الثامن

وبعد شهر رحل عثمان مع شادية لقضاء خمسة أشهر في أوروبا وأمريكا لزيارة أقطارهما المختلفة ولعقد بعض الصفقات التجارية ، وفي خلال تلك الفترة تزوج « فريد » من فتاة جامعية تدعى « وفاء » جاهدت معه في الحياة حتى صلح أمره ووصل من استقرار الحال إلى ما يريد في زمن قصير ، ولما عاد عثمان من رحلته وسمع نبأ زواج سكرتيه اغتبط به وابتهج له ، أما شادية فما كاد يبلغها النبأ حتى تملكها شعور غامض عميق من الضيق والغيرة والكراهية نحو وفاء ، ولم تستطع أن تحدد مبلغ كراهيتها لها إلا في مساء اليوم الذي حضرت فيه مع فريد لزيارتها تلبية لدعوة عثمان ، فقد وجدت فيها فتاة لبقة جذابة باهرة الشخصية وإن كانت تقل عنها فتنة وجمالا ، وقضت شادية الوقت معهما ومع أسرة فرج التي دعيت للعشاء معهم وهي لا تحس راحة أو متعة فيما يدور حولها ، أما فريد فقد كان من القوة والثبات بحيث لم يستطع أحد أن يستكشف حقيقة ما كان بينه وبين شادية ، وفي هذه الليلة أحست شادية لأول مرة أن كبرياءها قد جرحت فقررت بينها وبين نفسها أن

تمحو سعادة «وفاء» بيدها وأن تمتحن أثر الحب القديم في نفس رفيق طفولتها وصباها الذي كان بالأمس عاشقاً ولهاً ثم انقلب بفضل زوجته شاباً رزيناً مترناً لا يفكر إلا في أمر مستقبله واستقرار حياته .

وعندما انتقلوا إلى مائدة العشاء التي أعدت بهذه المناسبة استأثر فريد وزوجته بعناية شادية فكانت تتفقد حاجتهما إلى ألوان الطعام وهي لا تكف عن الابتسام والمداعبة وبعد تناول العشاء جلسوا جميعاً في قاعة الاستقبال يتحدثون وسرعان ما امتلكت شادية زمام الحديث فجعلت تروى لهم طرائف مما شاهدته في أوروبا وأمريكا وتصف لهم في لباقة مظاهر الحياة في ربوعهما المختلفة ، وكان مجدى أثناء ذلك يجلس إليها النظرات ويلتهم حديثها في شغف شديد . وبعد وقت انتقلوا إلى الحديقة وتفرقوا فيها وأتاح ذلك الفرصة لشادية للاختلاء بفريد تحت خيمة فتدانت منه وقالت وهي تمسك يده ملاطفة — كم أنا سعيدة برؤيتك يا فريد . .

فقال وهو يجذب يده من يدها في لطف

— أشكرك يا شادية هانم . .

فقالت عاجبة : هانم ! ! ولم هذه الكلفة ، أنا غريبة

عنك ؟

فأجابها في هدوء : أنت في مقام عثمان (بك) يا شادية هانم .
 فقالت وهي تحقق في عينيه : وما أهمية ذلك بالنسبة
 إلينا ، إنه لا يغير من أمرنا شيئاً ، أنسيت مكانتك عندي ،
 إن كنت قد نسيت فاعلم أنني ما زلت أعدك أعز إنسان في
 الوجود . . .

ولما لم يجب عادت وأمسكت يده مرة أخرى وقالت بصوت
 متهدج النبرات :

— لبتك تعرف ما بقلبي يا فريد . .

فقال في ارتباك ودهشة : لا . . . لا . . . أرجوك .

فقالت في صوت حنون : ماذا دهاك يا فريد ، ألا يسعدك
 أن تعرف شعوري على حقيقته .

فارتاع فريد ولكنها أعادت عليه كلماتها ووجهها يذنو
 من وجهه فنفذت كلماتها كالسهم إلى قلبه وراحت نشوة
 الحب القديم تتسلل إليه من جديد وسمعها تقول :

— ألا تشعر بشعوري يا فريد . .

وأرسلت إليه تلك النظرة الفتاكة التي كانت فيما مضى
 تهز كيانه هزاً ثم قالت : فريد أما زلت تحبني ؟ . .

فتراجع فريد إلى الوراء وقال : أرجوك يا شادية — وغفل
 الاثنان في تلك اللحظة عن رؤية مجدى الذى كان يرقب

ذلك المشهد الغرامي من وراء شجرة بقلب يلتهب بالغيرة وعينين
تومثان بشر مستطير ، ولما هما بالمسير غادر مجدى مكانه بسرعة
وفى قلبه نار حامية من الغيرة والكراهية والغضب ، وفى تلك
الليلة لم يذق للنوم طعماً ، وفى تلك الليلة أيضاً قرر فريد بينه
وبين نفسه أن يقطع علاقته بشادية بأى ثمن حتى لا يعرض
نفسه لشر يزلزل كل ما بناه . ولكن القدر المحتوم أبى إلا أن
يتدخل فما هى إلا أيام حتى مرض عثمان ولزم فراشه واضطر
أن يستدعى سكرتيه فريد للحضور يومياً إلى منزله لعرض
الأوراق العاجلة عليه ، فكان يأتى كل صباح لهذا الغرض ثم
ينصرف بعد ساعة ولما اشتد المرض بعثمان اضطر فريد إلى إطالة
مكثه فى المنزل ليتعاون مع شادية على تمريضه . وكان فريد
يصطحب زوجته معه أحياناً فلما أحس رغبة شادية الحامجة
فى إثارة عواطفه نحوها حرص على اصطحاب زوجته معه فى كل
مرة يزور فيها عثمان وخاصة فى المساء ، ومرت أسبوع نجح
فيه فى مقاومة إغراء شادية والإفلات من جميع الشباك التى
كانت تنصبها له بمحض من زوجته حيناً وفى غيابها حيناً آخر ،
ولكن شادية ما لبثت أن غلت فى الإلحاح فراحت تضطهده
بمناوراتها حين كان يزورها فى دارها مع وفاء ، وجعلت تزوره
فى داره حين كان يقعد عن زيارتها وينتحل لذلك ما كان

ينتحل من معاذير . وكانت وفاء ترى ذلك فتعجب له ولكنها كانت تأوله تأويلاً حسناً نقياً في أول الأمر ولكن مواقف شادية السافرة مالبشت أن أثارت ريبتها وبذرت بذور الشك في نفسها وجعلتها تسيئ الظن بزوجه الذي وقفت عليه قلبها وعقلها وعواطفها . وذات مساء ذهب فريد ووفاء إلى منزل عثمان وصعدا توا إلى غرفته فألفياه في فراشه وعلى مقربة منه شادية تجلس على طرف السرير وبعد أن تبادلوا التحية جلس فريد وزوجته على مقعد غير بعيد وأخذا يتجاذبان الحديث معهما ولما حان موعد الدواء نهضت شادية واتجهت إلى منضدة صغيرة وتناولت زجاجة وصبت قليلاً منها في فنجان وقدمته إلى عثمان فقال لها مكفهر الوجه

— لا أريد أن أشرب هذا الدواء يا شادية ، إن طعمه كريه جداً . . .

فقالت وهي تدنى الفنجان من فمه :

— ولكن يجب أن تشربه يا عثمان ، ان الطبيب يحتم شربه في مواعده . . .

وبعد دقائق من شرب الدواء أسبل عثمان جفنيه فخرجوا على أطراف أصابعهم ونزلوا إلى البهو وبعد أن جلسوا قليلاً قال فريد :

— أظن أنه قد آن لنا أن ننصرف . .
 فنظرت إليه شادية طويلاً وهي تبسم في رقة وملاطفة
 ثم قالت :

— تنصرف قبل أن نتناول العشاء معاً ، هذا مستحيل . .
 وسمعوا بعد لحظات الخادم سرور يناديهم لتناول العشاء
 فالتفتت شادية إلى فريد وقالت وهي تغمز له بعينها :
 — لقد أعددت لك ألوان الأطعمة التي تحبها ، هيا بنا . .
 وجلسوا يأكلون ويتحدثون وبعد أن فرغوا من تناول الطعام
 انتقلوا إلى الصالون وأخذوا يتلهون بأشتات الأحاديث . وبعد
 قليل سمعوا الخادم سرور ينادي فريد فقالت شادية :
 — لا بد أن عثمان يريد مقابلتك ثانية . .

فنهض قائلاً : سأذهب إليه . . .
 وتركهما وصعد على عجل . وبعد خروجه بدقائق
 استأذنت شادية من وفاء وخرجت بعد أن وعدتها أن تعود بعد
 قليل . ومكثت وفاء في الغرفة وحدها نحو نصف ساعة ولما طال
 انتظارها نهضت وخرجت إلى البهو وأرادت أن تدخل غرفة
 المكتبة لتقتل الوقت بالقراءة ولكنها ما كادت تقترب من الباب
 حتى تراجعت خطاها ذلك أنها لحت شادية تحادث « فريد »
 وتلاطف يده في غير كلفة فوقفت بجوار الباب تتسمع فسمعت

شادية تقول : ماذا دهاك يا فريد ، ما هذا الخوف .
فأجابها محذراً : خفضي من صوتك يا شادية ، إنني
أخشى أن تسمعك وفاء . .

— ليسمعنا من يسمعنا ، إنني أكاد أموت شوقاً إليك
يا فريد ، ألا تعلم أنك أغلى وأحب شيء في حياتي ، بل أنت
كل حياتي .

وفي هذه اللحظة سمعت وفاء صوت أقدام الخادم سرور
على السلم فأخلفت مكانها وأسهرت إلى الصالون وهي تنتفض
من نار الغيرة والغضب .

ولم تشأ وفاء بعد ذلك أن تنبئ زوجها بما رأت وإنما آثرت
أن تحتفظ لنفسها بهذا السر الأليم حتى تستطيع من حقيقة الصلة
التي تربط بين زوجها وشادية وبذلك لم يعلم فريد أن
زوجته قد ظهرت على أمرهما وتأثرت منه بقليل أو كثير . ولكن
هذه الحال لم يقدر لها أن تدوم طويلاً فما هي إلا أيام حتى
تلقت في مقر عملها بمصلحة الكيمياء رسالة من مجهول جاء
فيها : افتحي عينيك جيداً وراقبي زوجك ، لقد خانك وما زال
يخونك مع زوجة عثمان (بك) في داره بالمعادي .

وجلست وفاء تنظر إلى الرسالة في فرع وقد استبد بها غضب
شديد وفجأة قررت أن تثار لكرامتها التي أهينت وحرمتها التي

انتهكت وجهها الذى أضيع ، وانطلقت على إثر ذلك مسرعة إلى دار أسرته فى شبرا حيث كانت تقيم معه لتأخذ ملابسها وتفارقه إلى غير رجعة ، فلما دخلت ورأتها أمه فزعت لمراها وأسرعت إليها قائلة :

— ماذا بك يا وفاء ، أنت مريضة ؟ .

ولكنها لم تجب ومضت إلى غرفتها وأغلقت عليها الباب وبعد وقت خرجت ويدها حقية ملابسها فنظرت إليها أمه فى غمرة من الدهشة والذهول وقالت :

— ماذا حدث يا وفاء ؟ إلى أين أنت ذاهبة ؟ . .

فانفجرت قائلة : أنا ذاهبة إلى أهلى ، ولن أعود . .

فدعرت المرأة لكلامها وقالت فى جزع شديد

— تذهبن إلى أهلك ؟ ولماذا يا وفاء . .

فقالت فى لهجة احتقار صاعدة من صميم قلبها

— لأن فريد أصبح إنساناً آخر . .

— ماذا تعنين .

— أعنى أنه أتى أمراً منكراً لا يمكن أن تسكت عليه

زوجة شريفة . .

فحدقت فى وجهها فى دهشة وقالت

— لا تقولى هذا بالله يا وفاء . .

— هذه هي الحقيقة ، صدقيني ، لقد رأيته بعيني مع شادية .

فصاحت المرأة مهتاجة : شادية هانم !! إنني لا أصدق من هذا حرفاً ، يا الله من الوشائيات . . .

فقالت وفاء في حدة : وشائيات !! قلت لك إنني رأيتهما بنفسى . . .

فأجابتها قائلة : لا أصدق . . . لا أصدق ، إنني أعرف ابني تمام المعرفة . .

فأجابتها على الفور : سواء صدقت أم لم تصدقي أنا ذاهبة .
فقالت الأم والألم يمزق صدرها :

— بالله تريتي يا وفاء ، لماذا لا تمكثين حتى يعود ؟ .

فقالت في إصرار : مستحيل ، يجب أن أرحل توتاً . .

— بل يجب أن تمكثي فلعلها مكيدة دبرها بعض الأشرار لتدمير حياته وسعادته .

فقالت الأخرى وهي تتحول ناحية الباب :

— يؤلني كثيراً أن أتركك وأخيـب رجاءك . .

وتركتها على الأثر وانطلقت مهرولة إلى الشارع .

وكان « مجدى » في سورة حنقه على فريد — بسبب علاقته الخفية بشادية — قد أجمع أمره على سحقه وتحطيمه

حتى يخلو له الطريق إلى شادية فأرسل تلك الرسالة إلى وفاء وراح يراقب حركاتها وسكناتها حتى رآها تخرج من مقر عملها بعد تلقيها الرسالة فتبعها إلى منزلها في شبرا وانتظر حتى رآها تخرج حاملة حقيبة ملابسها .

وأحس مجدى بارتياح شديد لنجاح خطته وقرر بعد ذلك أن يضرب ضربة أخرى فى الصميم فاستدعى بعد ساعة إحدى صديقاته وطلب منها أن تتصل تلفونيا بعثمان وتنبئه بعلاقة فريد الآثمة بزوجته ، ولم يكذ عثمان يسمع بالنبا وهو فى فراشه حتى ثار فى نفسه غضب قاتل ، ولكنه لم يشأ أن يواجه زوجته التى كانت فى ذلك الوقت بالخارج بما سمع وإنما آثر أن يتبين حقيقة الأمر بنفسه فأخفى ما به من ريب ولم يتحدث إلى شادية بعد أن عادت من الخارج بشيء مما أخبرته به السيدة المجهولة ولما علمت شادية فى اليوم التالى بنبا غضب وفاء وذهابها فرحت فى غير تحفظ ولا تحرج ولا احتياط ثم جاءها فريد بعد ساعات مغيظاً محنقاً واختل بها وراح يؤنبها على مسلكها الذى أدى إلى غضب زوجته ثم أخذ يفضى إليها بالآلام التى يحسها والشقاء الذى يعانيه بسبب فراق زوجته له ولم يكذ ينتهى من كلامه عن زوجته وإخلاصه لها حتى ثارت فى وجهه ونشب بينهما على الأثر جدال عنيف اضطر شادية إلى أن تنهره وتصيح به :

— أخرج من هنا ، أخرج وإياك أن تعود مرة أخرى . .
وفجأة ألفيا « عثمان » واقفاً بالباب فلما رآته أسرعت
إليه وهي تتصنع الجزع وقالت :
— اطرده يا عثمان ولا تأخذك به رحمة ، لقد أراد بي سوءا
ولكنى

فقاطعها عثمان وهو يضمها إلى صدره في محبة وإعزاز :
— لا تجزعى يا شادية ، لقد أثبت أنك جديرة بالثقة ،
أما هذا الوغد فسأعرف كيف اقتص منه . .
فضممت نفسها إليه واتخذت من كتفه مسنداً ثم قالت
في صوت متهدج :
— إننى أفضل أن يظل الأمر سراً مطوياً محافظة على
سمعتنا يا عثمان ، فدعه يخرج فى سكون ، ولك أن تفعل به بعد
ذلك ما تشاء

وكان فريد يرقب هذا المشهد فى دهشة واضطراب وخوف
عظيم ، وسمع عثمان يقول له :
— كنت أود أن أنزل بك العقاب الذى تستحقه ، ولكن
نزولا على رأيها سأكتفى بطردك وفصلك من عمالك ، والآن
اذهب من أمامى أمها الكلب القدر . .
فأجابه فريد فى استعطاف : أرجوك يا عثمان (بك) أن تسمح لى . . .

فقاطعه في حدة وانفعال شديد وهو يشير إلى الباب

- أخرج . . .

فأجابه ملحفاً في توسله : كلمة واحدة يا عثمان (بك) ،
أقسم لك أنى برئ من هذه التهمة ، أقسم لك . . .

فقاطعه مرة أخرى في غضب واحتياج بالغ وهو يهتز
من شدة الإجهاد :

- أخرج قلت لك ، وإلا فأنت الخانى على نفسك . .

فحملق فريد فيهما في رعب وذهول ثم سار متعثراً إلى
الخارج وهو يجر قدميه على الأرض جراً . وسار يترنح وهو
لا يدري أين يمشى ، كان يريد أن يسير وأن يظل سائراً إلى
ما لا نهاية حتى يتفادى الذهاب إلى منزله ، وشعر أخيراً بالتعب
فجلس على مقعد في إحدى الحدائق وراح ينظر في ذهول
فيما حوله ، وبدأت الحياة في عينيه كثيبة مظلمة بشعة ومرت
أمام عينيه صور مأساته في موكب قاتم مزعج مثير ، وكانت
أبرز هذه الصور صورة شادية وهى تطل عليه بوجه جامد
ملىء بالصلف والقسوة والوحشية ثم صورة زوجته وشريكة حياته
وهى تنظر إليه في وداعة وحنان في ثوبها البسيط الذى يشبه
أثواب طالبات المدارس ، وطافت بعقله عدة خواطر مسمومة
سحرتة فظاعتهما ووجد فيها شفاء لما يجيش في صدره من حقد
وغضب وكرهية لشادية المتقلبة وزوجها البغيض اللذين حطما

حياته ودمرا البناء الحميل الذى أقامه جزءاً جزءاً مع زوجته الوفية الحبيبة . وارتعد فريد وهو يذكر اللحظات الرهيبة التى انتهت بطرده من منزل عثمان ثم ركز أفكاره فى الخطة المسمومة التى راودته للانتقام من شادية وعثمان معاً ، وتراءت له صورة زجاجة الدواء الموضوعة على المنضدة بجوار عثمان وتجسست فى مخيلته صورة شادية وهى تناول زوجها فنجان الدواء ليشربه ، ثم تصور نفسه وهو يضع جرعة من السم فى زجاجة الدواء فى غفلة من الجميع ، ولكنه عاد فعدل عن هذه التصورات التى كانت تعبت بنفسه حين عادت إليه ذكريات طفولته وصباه وأيامه السعيدة التى قضها مع شادية فاستبعد أن تنحط روحها إلى هذا المستوى من الشر والدنس والقساوة والوحشية وعزا موقفها الذى وقفته منه إلى غرمتها القاتلة من زوجته وحبها الشديد له وفزعها من مفاجأة عثمان غير المنتظرة ، وعندئذ لم يجد حرجاً فى أن يترى حتى يستكشف جلية شعورها نحوه وسر موقفها العدائى الأخير منه ، وحتى يتسنى له فى الوقت نفسه معرفة موقف وفاء النهائى منه بعد أن أخبرته أمه بكل ما حدث . ولكن الأمور ما لبثت أن جرت بعد أيام على غير ما كان يقدر ذلك أن الأمر بينه وبين زوجته ما لبث أن انتهى إلى فساد ليس بعده فساد فقد أصرت وفاء على أن تفارقه بالطلاق إن رضى بالطلاق وبالموت إن رفض الطلاق . وخرج فريد

من دار صهره في ذلك اليوم والجزع يملأ نفسه وعندما وصل إلى الشارع الذي يقع فيه منزله ومنزل خالة شادية بعد مقابلة وفاء وأهلها كان الليل قد أرخى سدوله ، وأراد قبل أن يدخل منزله أن يبتاع بعض اللبن والخبز لإخوته فقصد إلى دكان بدال يقع قريباً من منزل الدكتور بدر الدين ولكنه ما كاد يسير بضع خطوات صوب الدكان حتى وقف في مكانه فجأة كأنما سمعت قدماه في الأرض ذلك أنه رأى شادية تنسل خارجة من عيادة الدكتور بدر الدين وما هي إلا لحظة حتى ظهر بدر الدين يحمل وشاحاً وضعه فوق كتفها وهو يقول : أسمحين لي بأن أرافقك ؟ .. فالتفت إليه وقالت : لا داعي لذلك يا بدر ، فقد أيرانا أحد .. - حسنا ، لا تنسى أن تأتي في الموعد الذي اتفقنا عليه : - لن أنسى بالطبع يا بدر ، إلى اللقاء . - إلى اللقاء .

وبعد لحظات ركبت سيارتها وانطلقت بها صوب المعادي . ووقف « فريد » ينظر ناحية السيارة وهو لا يقوى على الحراك من هول المفاجأة ، المفاجأة التي أكدت له الحقيقة المروعة وهي أن شادية لا تحبه ولا تبادله عاطفته وأنها امرأة بلا خلق ولا كرامة ولا أمانة ولا شرف ، وبعد لحظات انتزع قدميه من مكانه ومشى إلى داره وهو يشعر كأنه كتلة مشتعلة من الغيظ والكراهية .

الفصل التاسع

وعندما اختلى فريد بنفسه في تلك الليلة راحت الأفكار المسمومة تحز في ذهنه وتشعل المزيد من نار الشر والحقد والكراهية في قلبه نحو شادية ، وأفزعه مصيره بعد أن فقد عمله الذي كان يرتزق منه وفقد زوجته الجامعية المكافحة التي كانت خير عون له على مشاق الحياة والتي أخذت بيده وساعدته حتى نال بكالوريوس التجارة ، وفجأة تملكه حقد قاتل على النساء جميعاً أولئك اللاتي أقبحنه مقحماً لا سبيل إلى الخروج منه ، وفكر في تدبير خطة للنار من شادية التي خانته وغدرت به وأشقته شقاء لا مزيد عليه ، ومن وفاء التي تركته وقاطعته وأغلقت دونه باب قلبها وسمعتها في عناد لا حد له ، ثم استرسل في تفكيره الجامح فتملكته النقرة على أبويه لإقدامهما على إنتاج ذلك العدد الكبير من إخوته الصغار بلا روية ولا حساب ، وشعر بخوف مفاجئ وهو يستحضر في ذهنه صورة إخوته السبعة الذين يعتمدون في مأكلهم وملبسهم بل وفي وجودهم ذاته عليه ، وعندما بلغ هذه النقطة من التفكير أحس كأن عارضاً من الدهول قد عرض له وكأن كل شيء من حوله يضطرب أشد اضطراب ، وبقي على ذلك زمناً ثم أخذ الهدوء يثوب إليه شيئاً

فشيئاً ولم يكد يتمالك نفسه حتى تطلع إلى السماء وهتف منادياً
ربه من أعماق قلبه :

— إن كان أمر هؤلاء الصغار مهمك فامننى يارب من
حياة الشر التى أريد أن أختطها لنفسى . .

وفى الصباح استطاع أن يخفى مشاعره عن أمه وإخوته
الصغار ولكن اضطرابه كان من الحدة بحيث لاح له كأنه عملاً
أرجاء المنزل ويرسم الخزع على الأثاث والأدوات ووجوه أفراد
أسرته جميعاً .

وخرج من الدار وهو يشعر بالقلق واليأس . وفجأة اقتحمت
صورة وفاء عليه أفكاره واستأثرت بعقله وقلبه وعواطفه جميعاً ،
وكان أول خاطر خطر له حين انجلت عنه صورتها أن يتصل
بها تليفونياً فى مكتبها ، فعبر الشارع واتجه إلى تليفون عمومى
وأدار رقمها الخاص وراح يصغى لرنين التليفون وقلبه يخفق
بشدة وفجأة سمع صوتها يقول :

— ألو . . . ألو . . .

فقال وهو يجاهد فى السيطرة على أعصابه :

— أنا فريد يا وفاء ، هل أستطيع أن أتحدث معك قليلاً .
فسمعها تقول فى صوت عذب حنون

— نعم يا فريد ، ماذا تريد ؟ .

فاهتز كيانه فرحاً وابتهاجاً عندما سمعها تناديه باسمه إذ لم

يحدث أبداً بعد خصامهما أن نادته باسمه ، وأجابها قائلاً :

— عندى شىء هام أريد أن أفضى إليك به .

— ما هو هذا الشىء ؟ .

— أريد أولاً أنؤكد لك للمرة العاشرة أننى لم أفعل شيئاً

ينافى حى إياك أو يكذبه ، صدقنى يا وفاء اننى لست بالزوج الخائن الخادع الذى تتوهمينه .

فأجابته قائلة فى صوت رقيق .

— لا حاجة بك إلى تأكيد كلامك يا فريد ، إننى لم أعد

أتوهم ذلك بعد أن رأيت فى منامى ما أقنعنى بأنك غير ملوم . . .
فتنفس الصعداء وقال :

— أحقاً ما تقولين ؟ ماذا رأيت فى منامك يا وفاء ؟ .

— سأخبرك به كلمة كلمة متى استقر بنا المقام يا فريد .

— ما أسعدنى بهذا الكلام يا زوجتى العزيزة ولكن . . .

— ولكن ماذا ؟ . .

— ألا تعلمين ما حدث ؟

— ماذا حدث ؟ .

— حدثت مأساة أخفيتها عنك ، فعندما ذهبت إلى شادية لألومها

على موقفها وأؤكد لها وفائى وإعزازى لك دبرت لى مكيدة لا تطراً ببال .

وأخبرها فى إيجاز بكل ما حدث وما أن انتهى من كلامه

حتى سمع وفاء تقول :

— يا لها من شريرة ، هكذا رأيته في منامي .
 وسكنت لحظة ثم استأنفت تقول :
 — وكيف أنت الآن . . .
 — اننى أواجه مشكلات لا نهاية لها .
 — هون عليك ، سوف أحضر لنواجه المشكلات جنباً
 إلى جنب . . .

فقال فى فرح غامر :
 — وفاء ، يا حبيبتي ، ما أكرمك وما أنبلك . . .
 وعندما التقيا بعد وقت أسرع إليه وألقبت بنفسها بين
 ذراعيه وراحت تضمه بقوة وهى تنصت إلى صوته المتهدج
 بالانفعال :

— لشد ما أحبك يا زوجتى العزيزة .
 وكانت عودة وفاء فاتحة خير وبركة على فريد وأسرته
 فما هى إلا أيام حتى ساقته إليه الأقدار عملاً مربحاً فى إحدى
 شركات البترول التى تعمل على ساحل البحر الأحمر ،
 ولم تكد تصله هو ووفاء أنخبار الرغد والثروة والجمال التى
 يتمتع بها موظفو هذه الشركة حتى بادرت وفاء إلى الاستقالة
 من وظيفتها الحكومية والتحققت بالشركة ثم رحلت مع الأسرة
 إلى مقر عملهم الحديد وهناك رأوا لوناً جديداً من الحياة وبيئة
 جديدة من المجتمع ملأت قلوبهم أمناً وسعادة وصفاء .

الفصل العاشر

وبعد أسبوع إزدادت حالة عثمان سوءاً ونصح الطبيب المعالج بنقله إلى المستشفى لإجراء عملية جراحية وما أن وصل إلى المستشفى حتى أجريت له العملية في الحال واستلزم الأمر بقاءه في المستشفى عدة أيام فحجزت له حجرة ممتازة وأعدت لشادية حجرة خاصة بجواره لتطمئن عليه وتسهر على راحته . وكان أفراد أسرته وأسرته شريكه فرج يوالونهما بزياراتهم في كل وقت وكانت شادية ترتقب هذه الزيارات بفارغ الصبر لشدة ضجرتها بالإقامة في المستشفى وكانت تعنى عناية كبيرة بزيينتها كلما حضر زائرون لرؤية زوجها وخاصة مجدى وجلال ومختار . وذات يوم حضر جلال بمفرده ودخل عليها حجرتها تواء وبعد أن حياها وسألها عن صحة عثمان جلس يجاذبها الحديث في لباقة كعادته ، وكانت في ذلك الوقت تجلس أمام المرأة تتعطر وتزين فنظر إليها ثم إلى صورتها في المرآة وراح يطرى محاسنها ويمتدح ذوقها في طريقة تصفيف شعرها ولما وجدها قد تقبلت إطراره بابتسام ومداعبة طرح الكلفة وجلس إلى جوارها وقال وهو يضع يده على معصمها :

— هيه ، أمسرة أنت بالإقامة هنا ؟ .
 — كلا بالطبع يا جلال ، إن الإقامة وسط المرضى شيء
 لا يطاق . .

— إذن لماذا لا تتركين المستشفى للإقامة في المنزل . .
 — بودى أن أفعل ولكنى لا أستطيع الآن . .
 — وهل طلب منك عثمان أن تمكثي هنا طوال مدة إقامته
 في المستشفى ؟ . .

— كلا ، ولكنى مضطرة إلى المكث هنا إلى أن تتحسن
 صحته قليلا . .

— وبعد أن تتحسن صحته ؟ .
 — سأذهب إلى المنزل لأدبر شئونه على أن أواليه بالزيارة
 يوميا . .

وبعد حديث قصير عن عثمان ومريضه التفت إليها جلال
 وقال :

— والآن يا شادية ، أما زلت تذكرين ما قلته لك . .
 — ماذا تقصد ؟ .
 — أقصد ما أخبرتك به من أن شبابك لا ينبغي أن يضع
 سدى . .

فابتسمت في رضا وقالت :

- نعم . . .
 — وما رأيك ؟ .
 — وماذا تنتظر منى أن أقول ؟ .
 — قولى مثلاً إنك لا تحبين الحياة التى تعيشينها الآن .
 — وما فائدة ذلك لك يا جلال ؟ . .
 — سأحدثك فى هذا الأمر عندما أزورك فى منزلك . .
 وبعد خمسة أيام انتقلت شادية للإقامة فى منزلها وبعد وصولها بساعتين حضر جلال إلى المنزل فهرعت إليه تستقبله فى شىء من الارتباك إذ كان سرور والخادمة فى المستشفى يحزمان أشياءها .
 فقال لها على الأثر وهو يضغط يدها فى شغف :
 — مساء الخير يا شادية ؟ لقد كنت فى المستشفى فلما علمت بخروجك حضرت لأطمئن عليك . .
 فقالت : شكراً لك . .
 فأمسك بيدها ملاطفاً ثم قال :
 — أرجو ألا يكون حضوري قد ساءك . .
 — أبداً . . . أبداً . . . تفضل . .
 — شكراً يا شادية ، تعالى نجلس وقتاً لأحدثك عما عندى .
 ومضيا إلى حجرة الاستقبال وجلس جلال فترة صامتاً

ثم رفع بصره وقال :

— المسألة التي جئت من أجلها يا شادية مسألة قد تبدو
سخيفة ولكنها مسألة هامة جداً يتوقف عليها هنائي أو شقائي . .

فنظرت إليه في اهتمام وقالت :

— ما هي هذه المسألة ؟

— دعيني أولاً أسألك سؤالاً . .

— ما هو ؟ . .

— أسعيدة أنت بحياتك الراهنة ؟ . .

— ولم تسأل هذا السؤال ؟ . .

— أحب أن أعرف شعورك الحقيقي نحو عثمان . .

— إن عثمان يحبني ولا يدخر وسعاً في إسعادى . .

— وهل تظنين أن ذلك يكفي لإسعادك . .

— ولم لا . .

فدنا منها وأخذ يدها بين يديه وقال :

— لم هذه المداورة والمراوغة يا شادية ، لماذا لا تصارحيني

بالحقيقة ؟ . .

فسلت يدها من بين يديه في لطف وقالت :

— وما أهمية ذلك لك يا جلال ؟ لماذا تسأل كل هذه

الأسئلة ؟ .

فارتعشت شفتاه وانطلق بهمهم بصوت متهرج من الانفعال
 - لأننى أحبك ولا أستطيع الحياة بدونك يا شادية ولو لم
 يكن عثمان فى طريقى لتزوجتك فى الحال . .
 وسكت لحظة ثم أردف :

- ألا يمكن أن تتركه ، إننى أملك ثروة طائلة يا شادية
 وفى وسعى أن أجعلك أسعد الزوجات .
 فنظرت إليه متعجبة وقالت :
 - ولكنى متزوجة يا جلال . .

- بوسعك أن تنفصلى عنه ، إنه لن يرفض تطليقك
 إذا أردت .

- ليس الأمر بهذا القدر من السهولة يا جلال .
 - كل شىء ممكن تدبره يا شادية ، وبوسعنا بعد ذلك
 أن نرحل إلى مكان بعيد فى أوروبا حيث نعيش معاً سعداء
 لا ينغص حياتنا أحد .

- وفائزة ؟ . .
 - سأسوى الأمر معها .
 - أمكذا بكل بساطة تحطم أملها فيك ؟ . .
 - إننى لا أنكر أنها تحببني إلى أبعد حد ولكنى أريد السعادة
 لنفسي . .

- وهل تعتقد أننا إذا نجحنا فى ذلك نسلم من أقوال الناس . .

— إننى لا أهتم بأقوال الناس . .

— ولكنى أهتم بذلك جداً .

— إن الحب يا شادية أهم شىء فى الحياة بل إنه الحياة نفسها ، فإذا وافقت فسوف نرحل إلى جميع أنحاء العالم لنرى الحياة على حقيقتها معاً ، تصورى هذا يا حبيبتي ، تصورى حياتنا معاً على جبال الألب صيفاً وسواحل الريفيرا شتاء وسكت هنيئة ثم استطرد يقول :

— لست أدري إن كنت توافقين على ذلك أم لا توافقين ولكنى أحب أن أؤكد لك يا شادية أنك ستسأمين من عثمان بعد أشهر إن لم يكن بعد أسابيع وخاصة بعد أن حطمه المرض .
ولسوف يأتى يوم تنظرين فيه إليه فتبينين أنه قد صار دمية كهلة بشعة وعندئذ ستندمين أشد الندم على ربط مصيرك بمصيره .
فنظرت إليه شادية وقالت :

— كفأك يا جلال ما قلته ولا تحاول أن تؤثر فى بكلامك أكثر من ذلك ، إن الدنيا أمامك واسعة وبها آلاف الفتيات بالحميلات فلماذا لا تحاول أن تختار واحدة أخرى غيرى .

فدنا منها وقال بصوت راعش :

— مستحيل . . . مستحيل يا شادية . .

— وما وجه الاستحالة . .

— لأننى أحبك إلى درجة الحزنون يا شادية .
 وفجأة انحنى على يدها يغمرها بقبلات ملتهبة جياشة .
 ومرت لحظة صمت قصيرة وفجأة سمعاً طرقات على الباب فسألها
 جلال فى قلق :

— من تظنين ؟ ..
 — لست أدري ، انتظر حتى أرى من هناك ..
 ومشت الهوينى وما كادت تصل إلى الباب وتطل من ثقبه
 حتى عادت أدراجها تقول فى ارتباك :
 — يجب أن تختبئ فى الحال .
 فقال فى اضطراب

— من يكون !!
 — إنه مجدى وأنت أدري الناس بلسانه وخاصة إذا رآنا
 وحدنا هنا

فدار بعينه ينظر حوله فى ارتباك شديد فأشارت إلى الستائر
 وقالت على عجل :
 — اذهب واختبئ وراء هذه الستائر .

فأسرع إلى المكان الذى أشارت إليه واختبئ خلف الستائر .
 وقصدت شادية على أثر ذلك إلى الباب وفتحته وما أن رآها
 مجدى حتى أمسك عن الكلام لحظة من شدة الإنفعال ثم
 تقدم منها وعلى فمه ابتسامة مريبة وفى عينيه لمعة غريبة ومد يده

إليها مصافحاً فمدت إليه يدها وهي تبسم ، فاستبقى يدها في يده وقال في صوت خافت عليه مسحة من الالتهياج :

— كنت أسير في الحديقة فلما رأيت النور في غرفتك

حضرت لأتحرى الأمر ، متى عدت من المستشفى ؟ .

فقالت وهي تسحب يدها من يده : منذ ساعات قليلة . .

فاقترب منها يحاول الابتسام وقال :

— حسنا فعلت ، أظنك وحدك الآن لأنني رأيت سرور

والطاهية في القاهرة .

وتقدم إلى الداخل بعد أن أغلق الباب وراءه فنظرت إليه

مستنكرة وقالت :

— مجدى ؛ افتح الباب . .

فقال في صوت متهدج من شدة الإنفعال :

— ويحك يا شادية ، أنت خائفة ، أنا شيطان حتى

تنظري إلى هكذا ؟ .

فقالت وهي تتقهقر أمامه :

— أرجوك . . أرجوك أن تخرج .

فمد يده يحاول تطويقها ولكنها تراجعت على عجل وعيناها

تتقدان فأصابته يده أكرة حادة فصاح وهو يجذب ذراعه

— أف لك ، ما أقساك ، ولكن لا . . لا ، أنا واثق أنك

لم تقصدي هذا .

فقلت وهى تتقهقر أمامه :

— إذا لم تخرج فلن أصفح عنك أبداً . .

فتقدم منهامرة أخرى وهو يقول :

— لست أدري لماذا تعاملينى بهذه القسوة يا شادية . .

وفجأة أطبق على ذراعها وقال وهو يحدق فى وجهها :

— لم ترهقينى كل هذا الإرهاق يا قاسية . .

فقلت فى صوت يفيض بالحنق :

— ابتعد عني قلت لك . .

وتخلصت من قبضته بفتح أنامله واحدة بعد الأخرى

واستطردت :

— إذا لم تذهب صحت بأعلى صوتى . .

— عجباً ، أترضين لنفسك الفضيحة ، ومع ذلك فأنا

مستعد أن أذهب بشرط واحد . .

— ما هو ؟

فأنحنى عليها واختطف قبلة عجلي فتقهقرت وهى تقول

فى حدة . . :

— مجدى !!

فانقض عليها واندفع يحتضنها ويقبلها فى ثورة عارمة

واستحال كل ما عاناه من صدها وحسنها إلى رغبة جامحة فى

اغتنصامها أما هي فقد تصلب جسمها فيما يشبه المقاومة ثم لم تلبث أن أذابتها حرارته وقوته فتراخت وهي تتأوه : دعنى ... دعنى ... وكان وجهه فى تلك الأثناء مواجهاً للستائر التى اختفى وراءها جلال فرأى طرفى حذاء تبرزان من تحت ذيول الستائر وعند ذلك عراه ذهول شديد واختلط عليه الأمر ثم تمثل له أن المختبئ ليس إلا عاشقاً آخر جاء يزاحمه فى حبها ، وما أن استقر هذا الحاطر فى ذهنه حتى دفعها بعيداً وصاح وهو يشير إلى طرفى الحذاء :

— أيتها الفاجرة . . . من هذا ؟ .

ولم ينتظر جوابها وإنما اندفع نحو الستائر وهو يصيح ويتوعد ولم يكذ يقترب من الستائر حتى برز له جلال وهو يلوح له بقبضته فما كاد يراه حتى صاح فى دهشة وغيظ واحتقار :
— جلال ! ، أهو أنت ، ما شاء الله ، أتخونيننا جميعاً مع هذا الخطيب المغفل المخدوع الذى لا يعرف ما ترتكبه خطيبته معى كل يوم .

وأثار هذا الكلام ثائرة جلال فانقض عليه ولكمه فى وجهه لكمة شديدة وما هى إلا لحظات حتى نشب بينهما صراع دموى عنيف انتهى بسقوط الاثنين أرضاً خائرى القوى لا يقويان على الحراك . وكانت شادية تراقبهما فى استمتاع غريب دون

أن تحفل بأحد أو تشفق على أحد كأنما الأمر لا يعنينا .
وبعد لحظات سمعوا بالباب طرقات وتعالى صوت نرجس من
الخارج فانتفض مجدى فى مكانه ونظر إلى شادية وقال متوسلاً :
— أرجوك يا شادية أن تصرفيها فى هدوء ، وأعدك إذا فعلت
ذلك أن ننصرف فى سكون وأن يظل ما حدث سراً مطوياً .

فتركتها شادية وسارت نحو الباب ولم تكذب تفتحه حتى
رأت نرجس تقف على عتبة وهى محتقنة الوجه وفى عينها
احمرار شديد فوقفت شادية هنيهة صامتة ثم سألتها قائلة :

— ماذا بك يا نرجس ؟ هل حدث شىء عندكم ؟
فنظرت إليها نرجس نظرة شذراء وقالت فى صوت مكبوت :
— كلا لم يحدث عندنا شىء ، لقد جئت لأرى ما يحدث

هنا . . .

فأجابتها بصوت هادئ . :

— إطمئنى إننا نقوم بترتيب الأثاث وتنظيفه .

فرمقتها بنظرة مريبة ملتببة وقالت :

— حسناً ، أنت بحاجة إلى شىء

— أشكرك ، أنا ذاهبة لأنام

وبعد انصرافها بدقائق غادر جلال ومجدى المنزل خلسة
وهما يجران أقدامهما على الأرض جراً . ووقفت شادية فى النافذة

ترقب شبحيهما في لذة واستمتاع حتى اختفيا في لحة الظلام .
وافترق الشابان على أثر خروجهما وذهب كل منهما في
طريق . ولم يشأ مجدي أن يذهب إلى بيته فقد أحس بأنه في
حاجة إلى قوة هائلة ليسيطر بها على مشاعره ، وشعر وهو يسير
صوب شريط السكة الحديد بالغيرة تنهش قلبه وصدره وعقله
نهشاً وخيل إليه أنه ما من شيء يمكن أن يريحه من الدوى
المزعج الذي يدوى في أعماق نفسه إلا أن يتحطم هذا المنافس
البغيض الذي يزاحمه في شادية ، وفجأة لمح جلال عن كئيب
وهو يسير مترنحاً صوب شريط السكة الحديد ، فنظر ناحيته
نظرة مفترسة ثم نظر حواليه في كل صوب يتفقد المكان ولما رأى
المكان خالياً تبعه في الظلام وقد شاع في نفسه بغض جهنمي
لا سبيل إلى كبته ، وتلفت حوله مهتاجاً فرأى حجراً بقرب
الشريط فانحنى عليه والتقطه ثم تقدم ناحية جلال على مهل
وانقض عليه وضربه بالحجر على رأسه فصعدت منه صرخة
مكتومة وسقط مغشياً عليه ، وفي لحظات خاطفة جره من
ملابسه وألقاه على شريط قطار المعادى ليحرق القطار القادم
بجسده . ووقف مجدي لحظات يرهف أذنيه ولكنه لم يسمع
إلا صوت صفير القطار القادم من ناحية حلوان فتحول من
مكانه ومشى مسرعاً صوب منزله وهو يرتجف وفيما هو يجد

في سيره بدا له أن يلقى نظرة أخيرة على نجثة غريمه فتوقف عن المسير وتطلع إلى مكانه عن بعد فرأى امرأة على رأسها شال يرفرف في الهواء تنحني على الجثة وتزحزحها بعيداً عن الشريط وبعد دقيقتين أقبل القطار وملاً المكان بدويه وضجيجه ، ومرت ثوان عجز فيها مجدى عن الحركة وظل لحظات يحملق ناحية المرأة في رهبة وذهول ، وأخيراً انتزع قدميه من الأرض واستأنف سيره في اتجاه منزله ، وكان بين وقت وآخر يتوقف عن المسير ويتلفت إلى الوراء وفجأة رأى شبح المرأة يتعقبه في خطى سريعة فارتاع ارتياحاً شديداً وهم بالعدو فراراً ولكنه ما لبث أن توقف عندما سمعها تهتف باسمه وتأمره بالوقوف فوقف ينتظر معلق الأنفاس وما هي إلا دقائق معدودة حتى رأى نفسه يقف وجهاً لوجه أمام نرجس . وكان وقع المفاجأة عليه شديداً فنظر إليها وقال وقد جف حلقه :

— نرجس ! ماذا تفعلين هنا ؟ .

فرمقته بنظرة صاعقة وقالت :

— كنت أراقبك ، لقد سمعت ورأيت كل شيء بنفسي

منذ رأيتك تدخل منزل شادية إلى هذه اللحظة .

فنظر إليها في جزع وضراعة وقال :

— نرجس ، ينبغي ألا يعلم أحد بذلك . .

فقالت وهي تنظر إليه في إمعان :

— إننى لا أستطيع أن أسكت ..

فسألها قائلاً : لماذا ؟

فأجابته : لأننى إذا سكت اعتبرت شريكة لك فى هذه

الجريمة .

فقال فى توسل واستعطاف بعد أن أحس لفحة من الخطر

تهب عليه .

— أرجوك يا نرجس ، يجب أن نصنع شيئاً للخروج من

هذا المأزق ، لقد كان ذلك حماقة طائشة منى ولكنى واثق

من أنك ستسارعين لنجدتى ..

فتطلعت إليه لحظة ثم قالت :

— حسناً ، إننى مستعدة لذلك ولكنى أشترط شرطاً .

فقال فى لهفة : ما هو ؟ .

فأجابته قائلة : أن تنى بالوعد الذى قطعته على نفسك .

— ماذا تقصدين ؟ .

— أنت تفهم بغيتى ، تفهمها حق الفهم ولكنك تتجاهل .

— آه فهمت ، أتعنين الزواج ؟ ، أهذا كل ما تتطلعين .

— نعم هذا مطلبى الوحيد ، فما قولك ..

— إننى أعدك بأن أتزوجك من الغد إذا فكرت فى وسيلة

لإنقاذى .

فقلت وقد تورد وجهها ابتهاجاً :

— أترك هذا الأمر لى ، سأدبر له خطة موفقة لا ينالك
منها سوء .

— ماذا ستفعلن ؟ .

— سأظل مع جلال إلى أن يفيق من إغمائه وسأقنعه بعد
ذلك بضرورة كتمان الأمر محافظة على سمعة العائلة ، والآن
اذهب دون إبطاء قبل أن يفيق ويراك .

فطغى على مجدى شعور عميق من الارتياح ووقف يرنو
إليها لحظة ثم قال :

— لست أدري كيف أشكرك يا نرجس ، لقد أثبت
أنك لى أعز صديق . .

ودنا منها وطوقها بذراعيه وهو يقول :

— إن قلبى يؤكد لى أننا سنكون أسعد الناس .

ثم قبلها انصرف حيث الخطا .

وأصبح سكان المعادى وحلوان ذات يوم وقد تناهى إليهم
خبران عجيبان وهما خبر زواج مجدى من خادمتة نرجس
وانفصاله عن أبيه ، وخبر فسخ خطبة جلال لابنة عمه
فائزة .

الفصل الحادى عشر

ووجد فرج فى فراق مجدى سعادة لاحد لها لأنه كان قد أحس بعد مراقبته له فى الأيام الأخيرة أنه يسد عليه الطريق إلى شادية زوجة شريكه التى تعلق بها قلبه ، وكان حبه لشادية قد أُلح عليه طوال تلك المدة إلحاحاً شديداً وذاق من تباريحها أشد ما يمكن أن يذاق ولكنه لم يجد القدرة على مصارحة شادية بحقيقة شعوره نحوها إلا بعد طرد مجدى لزواجه من نرجس .

وأخذ فرج يفكر فى الخطوة التى ينبغى له أن يتبعها للوصول إلى شادية فى الخفاء ، واستطاع أثناء ذلك أن يخفى مشاعره الحقيقية عن أقرب الناس إليه وهى زوجته التى كانت خير معين له على تحقيق آماله وأهدافه . وهكذا لم يعرف أحد قط حقيقة شعوره نحو شادية ، ومرت عليه فترة مليئة بالأفكار والعواطف العنيفة المتضاربة كان خلالها يذهب إلى عمله فى المصنع كالمعتاد ويزور شريكه فى المستشفى بالليل والنهار ، ويتبادل هو وزوجته الزيارات مع شادية بانتظام ولكنه فى خضم ذلك كله لم يكن يفكر إلا فى شادية التى اقتحمت أسوار قلبه وملأت عليه حياته وتفكيره وعواطفه جميعاً .

و ذات يوم اقترح على زوجته أن يمضيا أسبوعاً في الإسكندرية ترويحاً للنفس فراقها الفكرة ووافقت في الحال كعادتها فقد كانت هكذا دائماً تلي له كل مطلب دون مخالفة أو امتناع لشدة حبها له وثقتها فيه . وقضى فرج مع زوجته بالإسكندرية يومين ثم استأذن منها في السفر إلى القاهرة زاعماً لها أنه مسافر لإنجاز بعض أعمال عاجلة ثم عائد إليها بعد يوم أو يومين فركته يعود إلى القاهرة وهي كارهة .

وحالما وصل فرج إلى القاهرة توجه من فوره إلى أحد تجار الجواهر المعروفين واشترى منه عقداً ماسياً غالى الثمن ثم انصرف عائداً إلى المعادى . وكانت أمنيته عندما وصل إلى منزله أن يرى شادية ولا شيء غير ذلك فما أن فرغ من ابدال ثيابه حتى غادر منزله وأسرع الخطى إلى دارها وقلبه يخفق بشدة ، وطرق الباب طرقة خفيفة وهو يتلفت حوله وبعد لحظة فتحت الخادمة الباب فحياتها وسألها قائلاً : هل الهانم موجودة ؟ .

— نعم يا سيدى ، تفضل . .

فتبعها إلى غرفة الاستقبال وتركته الخادمة بعد أن أشارت إليه بالانتظار وما هي إلا دقائق حتى أهلت عليه شادية باسمه ومنحته يدها الصغيرة الرشيقة وهي تقول في صوت عذب حلو النبرات :

— أهلاً . . وسهلاً ، متى عدتم من الإسكندرية ؟ .

فقال وهو يضغط على يدها في شوق وهيام :

— لقد عدت وحدي لإنجاز أعمال عاجلة . .

وبدا له أن يقبل يدها ولكنه سرعان ما عدل عن هذه الفكرة ونحشى مغبة التسرع على أنه قال في نفسه . . لو أنني أحجمت عن هذا الآن لما استطعت بعد ذلك مغازلتها ، ومن يدريني لعل فيه خيراً لي ، وربما تقبلته بالرضا .

وتردد ثم شجعه ما ذكره من أنها كانت تتقبل مداعباته عن طيب خاطر حين كان يلتقي بها على انفراد في دارها أو في داره . وتكلمت شادية وهو في صراعه النفسي فقالت وهي تحرك يدها الرشيقة الناعمة في يده الغليظة الحشنة :

— ماذا بك يا فرج (بك) ، أراك مضطرباً ، هل حدث

شيء ؟ .

فقال لها وهو يحاول التغلب على ما في نفسه . . :

— أبداً . . أبداً ، لم يحدث شيء على الإطلاق .

وفجأة اندفع ورفع يدها وقبلها ، وأذهلتها هذه الحركة ، وكان الحو شديد الحرارة وذراعها عارية لا يسترها إلا لفاف رقيق فأنكشفت حين رفع فرج يدها إلى شفتيه ، وأدركت من نظرتها الواهة أنه هو الآخر يحبها ، يحبها هذا الحب الجنوني

المدمر الذى طالما بثته فى نفوس الرجال على اختلاف أعمارهم
ومراتبهم فى الحياة ، كما أدركت أنه حائر لا يدرى كيف
يتصرف ، فأخذت يده بين يديها وضغطت عليها بعطف
وهمست وقد ملأها الرضا والابتهاج :

— ألا تجلس قليلاً ؟ .

فجلس إلى جانبها وقد أشرق وجهه وامتلاً قلبه بشراً
ثم قال :

— أرجو ألا أكون قد أزعجتك بحضورى .

فأجابته فى رقة وعدوبة :

— ليس فى الأمر إزعاج مطلقاً ، لقد كنت بحاجة إلى

شخص يزيل عني السأم . .

وسكتت لحظة ثم قالت :

— كيف وجدتم الإسكندرية ، لا بد أنكم قضيتم وقتاً

جميلاً .

فنظر إليها فى وله وقال متهدج الصوت :

— بالعكس ، لقد كنت فى ضجر شديد . .

— ولماذا ؟ .

— لعله أخذت تعتادنى منذ حين يا شادية

— علة !! ما هى ؟ . .

— هي ضيق الصدر الذي يحرمنى الراحة ويحول بينى وبين النوم .

— لا بأس عليك يا فرج بك ، لعلها علة طارئة لا تلبث أن تزول .

— بالعكس ، إنها لن تزول أبداً .

فقالت وهي تنظر إليه فى تخابث :

— ولم هذا اليأس يا فرج بك ؟ .

— لأن الدواء الذى يردها عنى عسير المنال .

فقالت فى شىء من المكر :

— عسير المنال ! ! ما هو يا ترى ؟ .

— سأخبرك بأمره عندما نلتقى غداً .

قال ذلك ثم مد يده إلى جيبه وأخرج العقد وقدمه إليها

وهو يقول :

— لعلك سمعت قبل ذلك أن ذوقى فى اختيار الهدايا

لا يضارع ، فأرجو أن تتقبلى منى هذه الهدية كعربون مودة

وإعجاب وتقدير .

فأخذت العقد وقالت وهي تتأمله فى إعجاب ودهشة

وسرور :

— أوه ، ياله من عقد رائع .

فقال وهو يلاطف ذراعها العارية :

— هذا ليس شيئاً يذكر بالنسبة إلى ما سأقدمه لك غداً ،
ولكن يحسن بك ألا تتحدثي إلى عثمان عن هذا ؟
— حسناً ، وأرجو أيضاً ألا يكون هذا على مرأى ومسمع
من أحد وخاصة الخدم .

— طبعاً ، طبعاً ، وإذا شئت فتعالى إلى منزلى غداً الساعة
الثامنة مساء لأريك هدية لا تطراً ببال أحد .
وبعد لحظة نهض وانصرف بعد أن طبع على يدها قبلة
طويلة ملتفة . ولم يكذ يغادر المنزل حتى ارتمت شادية على
مقعد وهي تفهقه في غبطة وسعادة وانشرح .

وفي اليوم التالى قرب الساعة الثامنة مساء انسلت شادية
خارجة وقصدت إلى منزل فرج ولشد ما كان سرورها عظيماً
عندما قدم لها مشبكاً كبيراً مرصعاً بالجوهر ، وبعد لحظات
اقترح عليها فرج أن يجلسا في غرفة مكتبه ليتحدثا قليلاً في
بعض الشؤون ، فاستجابت شادية إلى ما اقترح وقضت معه
وقتاً سعيداً يتحدثان في شغف وسرور في أشياء بريئة وأخيراً
انتقلت شادية إلى موضوع العلة التي يشكو منها فقالت له :

بـ لم تحدثني بعد عن الدواء ، أصبح أحس أنه لا يوجد في مصر ؟ .

فقال وهو يتهد تنهدة عميقة :

— كلا ، إنه هنا ، وهو منى قريب ليس بينى وبينه
سوى ذراع يا شادية . .

فهزت رأسها وقالت وهى ' تتصنع الحيرة :
— ماذا تقول ؟ أجاد أنت ، لقد عهدتك مشغوفاً
بالمزاح معى . .

فأجابها بصوت يغلب عليه الانفعال :
— ليس هذا مزاحاً يا شادية ، أقول كلمة حق صريحة . .
فابتسمت قائلة :

— قل ما شئت . .
فقال مبهور الأنفاس :
— شادية . . . شادية ، ألا تعرفين أننى أحبك . .
ثم لهت أنفاسه وهو يردف قائلاً بعد أن أخذ يدها
بين يديه :

— لشد ما أحبك يا شادية . . .
ثم نهض وأكب على قدميها يقبلهما فى حرارة وسعادة وفى
أمل ورضا ، وفجأة اندفع فى جسمه نشاط عجيب لم يستطع
كبحه فانتصب واقفاً وجذبها نحوه وأخذها بين ذراعيه وراح يضمها
بقوة وعنف وحب ملتهب ويوسع وجهها لثماً وتقبيلاً ، وفوجئت
شادية بذلك أشد مفاجأة ثم شعرت بقبلاته تحرق وجهها وعنقها

ثم أحست ذراعيه تقبضان على خصرها بقوة وتهصران بجسدها
الرشيقي هصرأً عنيفاً ، هنالك طاش صوابها ونخشيت أن ينال
جسمها الحميل الرشيقي منه سوء فأخذت تدفعه بعنف وهي
تصيح به :

— أتركني . . . أتركني . .

فأجابها وهو يجذبها في شيء من العنف :

— أتركك ! هيهات يا شادية هيهات .

فصاحت به وهي تحاول التخلص منه :

— أتركني قلت لك ، وإلا صحت بأعلى صوتي . .

وفي تلك اللحظة فتح الباب واندفع منه مجدى ثائراً غاضباً

فما أن لمحته شادية حتى صاحت به :

— أنقذني يا مجدى . . . أنقذني بربك .

فأسرع ناحيتها وانتزعها من بين أحضان أبيه في عنف

ودفعها ناحية الباب فهولت إلى الخارج وهي تصيح في

وجه فرج :

— مجرم . . وحش . . . سافل . .

وذهل فرج من هول المفاجأة ذهولاً عقل لسانه وحل قواه

ووقف مكانه يرسل إلى ابنه الذى لم يعرف كيف حضر

نظرات حائرة فيها الحزى والحجل والاستخداء وفيها التوسل

والتضرع والاستعطاف . وساد بينهما صمت عميق قطعه فرج
بقوله :

— مجدى اذهب الآن من أمامى ، أريد أن أدخل إلى
نفسى .

فنظر إليه جامد العين وقال :

— إننى لن أذهب قبل أن أضع الأمور فى نصابها .

فقال الآخر بارتباك وسيماء الحجل الشديد تعلو وجهه :

— حسناً ، ما الذى تعترم أن تفعله . .

فحدق النظر إلى وجهه المكتشب وقال :

— إننى سأفعل أشياء كثيرة لأننى لم أنس بعد كيف

طردتنى من المنزل لفعلة ليست شيئاً مذكوراً بالقياس إلى
فعلتك . .

. فقال الآخر وهو يجهد فى إخفاء اضطرابه :

— أتهددنى يا مجدى . .

فقال وهو يحاول السيطرة على أعصابه :

— إننى لا أهددك ، ولكنى أحذرك ، ألا تدرى ماذا

سيجره عليك هذا العمل ، ألا تعلم أن كلمة واحدة من شادية

إلى زوجها سوف تعرضك لفضيحة تزلزل حياتك وتقضى على

كل ما بنيت .

فازداد شعوره بالفزع وقال بسرعة :

— إننى أشعر بدنبى حيالها ولكنى لا أظن أنها تقدم على ذلك ، أنا واثق أنها لن تؤذينى ، هل تظنها حمناء إلى هذا الحد ؟
فرمقه بنظرة كطعنة الحنجور وهو يقول فى مرارة :

— من يدري ، ربما فعلت الآن ما هو أكثر من هذا ؟ .

فالتفت فى عيني فرج نظرة خوف وتساؤل وقال :

— ماذا تعنى ؟ . .

— أعنى أنها ربما ذهبت وأبلغت الأمر إلى البوليس . .

فارتاع فرج ارتياعاً شديداً وقال :

— لا . . لا ، لا يمكن أن تقدم شادية على ذلك ، إن مثل هذه الأمور تحدث فى أعرق الأسر ولكنهم يضربون عليها سياجاً من الكتمان خشية الفضيحة ، ومع ذلك فيجب أن نسكت شادية مهما كلفنا ذلك من ثمن .

فنظر مجدى إليه برهة ثم قال :

— أنها فكرة سديدة ، أنا مستعد للذهاب إليها ومساومتها

على الثمن . . .

فنظر إليه الآخر فى عجلة وقال :

— إذن، هيا . . . هيا يا مجدى ، أنت لا شك خير من

يصلح لهذه المهمة .

وعندئذ سأله مجدى :

— كم تريد أن تدفع لها ثمناً لسكوتها .

— أى مبلغ من المال تريد . . .

— لا أظنها تقبل مبلغاً يقل عن ألف جنيه .

فقال الآخر وهو يسرع ناحية مكتبه :

— ليكن . . . ليكن . . .

ولم يكذ يناوله المبلغ حتى دسه مجدى فى نجيبه ومضى مسرعاً إلى الخارج . وقصد توأ إلى منزل شادية ورأسه تموج بشئ الأفكار والخواطر ، كان يفكر فى شادية ويسائل نفسه « ماذا أقول لها ؟ ماذا سيكون موقفها منى ؟ » واخترق حديقة دارها ولما اقترب من الباب وقف لحظة ليستجمع قواه ويصلح من هندامه ، ثم طرق الباب ومرت لحظة كأنها دهر لما انتابه فيها من قلق وانفعال ثم فتح الباب ولما رآته الخادمة حيته وقادته إلى الصالون ، وبعد فترة انتظار طويلة سمع خطوات شادية فى الردهة فدق قلبه سريعاً وما هى إلا لحظة حتى رآها تدخل الصالون وقد أفاضت الانفعالات على وجهها حساسية شديدة زادت بها وجمالاً فنهض ومد يده وأمسك يدها فأسرعت هى فى استردادها فقال فى صوت منخفض وهو يتأمل جمال ذراعها :
— شادية ، لقد جئت لأعتذر إليك نيابة عنه .

فقلت في حدة :

— تعتذر نيابة عنه ! ! هذا مستحيل .

فقال وهو ينظر إليها في ضراعة :

— إنك محقة في غضبك ، ولكن يجب أن تعذريه

يا شادية .

— ولماذا أعذره .

— أرجوك يا شادية . .

— قلت لك مستحيل ؛ كيف أصفح عنه بعد أن فعل

ما فعل .

فابتسم لها وأرسل إليها تلك النظرة الباسمة الحداية التي كان يظن دائماً أنها تذيب قلوب النساء وقال وهو يلاطف يدها

— أرجوك ، افعل ذلك من أجلى يا حبيبتي .

وكان يمني نفسه بجواب ينطوى على الحب والإعزاز والتقدير ولكنه ذهل من الفتور الذي بدا عليها وخاصة عندما قالت له في جفوة ظاهرة وهي تشد يدها من يده

— مجدى ، لا تتجاوز حدك ، إننى لن أسمح لك مطلقاً

أن تمس يدى

فنظر إليها عاجباً وقال : ماذا تقولين يا شادية ؟ لماذا بالله

تحدثين معى بهذه اللهجة ، ولكن . . . آه ما أغباني ، لعلك

ما زلت حانقة على بسبب نرجس ، أليس الأمر كذلك
يا حبيبتي . .

فنظرت إليه نظرة قصيرة هي مزيج من السخرية والاحتقار
وقالت :

— ما هذا السخف الذى تهذى به ، أتريد أن تعرف
الحقيقة . .

فابتسم قائلاً : طبعاً . . طبعاً يا شادية .
— إذن اعلم أنك لا تساوى عندى شيئاً وليس فى وسعى
أن أحتمل وجودك ولا كلامك أكثر من ذلك ، أيكفيك هذا ؟
فمائت الابتسامة على شفثيه وقال وهو يرتعد :

— هل بلغت بك المرأة أن تكلمينى بهذه اللهجة ؟
فقالت وهى تحدجها بنظرة ازدراء مميتة :

— بلا ريب ، فإنى أحب ان تعرف هذه الحقيقة تماماً ،
أسمعنى جيداً ، إننى لا أحبك ولن أحبك لأن قلبى لا يعرف
الحب ولن يعرفه فى يوم من الأيام .

وأدرك فجأة من نظراتها ما أقنعه بأنها لا تحبه ولا تهتم به
إطلاقاً فغاضت من على شفثيه ابتسامة الزهو وتذكر بغتة
مكانته من المجتمع بعد زواجه من نرجس وعلى الأخص فى
نظر شادية وما كادت جميع هذه الحواطر تستقر فى ذهنه
حتى توجهم وجهه وارتسمت عليه امارات الكبر والغضب وندم

أشد الندم على حضوره ونهض بعد لحظة مغضباً وقال وهو يغالب انفعاله :

— أنا منصرف يا شادية ولكن لى رجاء .

فقلت فى غير اكتراث :

— ما هو ؟ . .

— ألا تكونى قاسية على أبى البائس . .

— ماذا تقصد ؟ . .

— أقصد أن تسدلى ستار النسيان على كل ما حدث

خرصاً على سمعته وحياته ، فهل تعديننى بذلك ؟

— إننى أعدك بذلك على شرط .

— ما هو .

— أن تباعد أنت وأبوك عنى نهائياً وإلى الأبد .

فحزت هذه العبارة فى نفسه وقال وهى ينتفض :

— ألا تريدن أن تزيدى على ما قلته شيئاً ، أليس لك

مطالب أخرى .

— لا ، ولكنى أرجو أن تتذكر جيداً ما قلته لك . .

— ليكن ما شئت .

ثم حياها وانصرف وهو يجر قدميه على الأرض جرّاً .

وبعد ذلك بأسبوع ترك فرج المعادى وأقام هو وزوجته

مع مجدى ونرجس فى عوامة على النيل قرب الزمالك .

الفصل الثاني عشر

أما شادية فكانت قد أحست منذ زمن أحساساً مهماً بأنها تدخل تحت تأثير شيء جديد غريب لم تتبينه أول الأمر على وجه الدقة ثم وضح هذا الشيء حين أحست جنيئاً يتحرك في أحشائها ولم تكذ تستيقن من ذلك حتى تملكها شعور غريب من القلق والخزع والحيرة، وكان مبعث هذا الشعور خوفها من عواقب الحمل وما قد يؤدي إليه من تشويه بلحماها وتأثير على قوامها، واشتد هذا الشعور حتى قهر كل عاطفة أخرى في نفسها وملك عليها كل أمرها وصرفها إلا عن البحث والتفكير في طريقة تضمن لها التخلص من هذا الحنين، ولما ثقل عليها الأمر خرجت وعرضت نفسها على عدد غير قليل من الأطباء رغبة في التخلص من الحنين ولكن أحداً منهم لم يقبل المحازفة بإجهاضها، عند ذلك قررت أن تلجأ إلى الدكتور بدر الدين فذهبت إليه سرّاً في مساء ذلك اليوم الذي رآها فيه فريد خارجة معه من عيادته، وأطلعته على رغبتها في التخلص من الحنين فلما سمع بدر الدين ذلك دهش أعظم الدهشة وحاول أن يثنيها عن عزمها غير أن خافراً غامضاً ما لبث أن أهاب به من أعماق نفسه أن يلبي رغبتها ويدعن لإرادتها

فوافق على إجراء عملية جراحية لإجهاضها سرّاً في عيادته وحدد لذلك يوماً ولكن سوء حالة عثمان أدت إلى تأجيل الموعد عدة مرات . وأخيراً جمعت شادية عزمها وقررت إجراء العملية فوراً وكان ذلك بعد رحيل فرج وعائلته إلى الزمالك بأسبوع .

وكان بدر الدين قد أعد للأمر عدته فأخلى عيادته من المرضى وبذل في سبيل إخفاء الأمر عن الجميع جهد المستطاع نزولا على إرادة شادية .

وفي المساء حضرت شادية وانسلت إلى عيادته دون أن يراها أحد ، فهرع إليها بدر الدين يستقبلها والحواطر والأفكار المتضاربة تتصارع في رأسه . وكانت شادية مهتاجة الأعصاب مضطربة الفكر فأمسك يدها يلاطفها مبتسماً وهو يقول :

— لا تجزعى ، أنها عملية بسيطة ستنتهى بنجاح إن شاء الله .

ولما أدخلها حجرة العمليات جزعت جزعاً شديداً وتضاعف جزعها عندما رأت في حركاته اضطراباً مفاجئاً لم تلاحظه من قبل فرفعت إليه بصرها وقالت :

— أنا خائفة يا بدر ، هل تعتقد أن العملية بسيطة حقاً ..

— بلا شك ، كوني مطمئنة يا شادية .

— وهل سيحتاج الأمر إلى وقت طويل ؟ . .

— أبداً . . . أبداً . .

وانحنى عليها لأداء مهمته وهو يحاول السيطرة على أعصابه ولكنه ما كاد يلمس جسد المرأة التي يعبدها حتى سرت في أوصاله رعدة كالكهرباء ثم غمره بعد وقت موج هائل من الأفكار والذكريات والصور دارت لها رأسه واضطرب لها كل شيء من حوله ولكنه تجلد وراح يقاومها ويدافعها ويحاول التخلص منها كما يحاول الغريق أن ينجو من الماء الذي يطغى عليه ولكن دون جدوى ، وفجأة أحس يده ترتعش فعراه اضطراب شديد وتصبب جسده عرقاً وما هي إلا دقائق أخرى حتى تبين أنه مزق أمعاءها فتملكه فزع مروع وأظلمت الدنيا في عينيه ومرت لحظات كادت الخواطر المفزعة أن تصرعه وتذهب بعقله . وأخيراً حملها مع التمورجى في سيارته وأسرع بها إلى مستشفى خاص وما أن فحصها الأطباء وأدركوا خطورة حالتها حتى بادروا إلى إبلاغ الأمر إلى البوليس الذى ما لبث أن قبض على الدكتور بدر الدين .

وكان عثمان فى ذلك الوقت يعانى نوبة خطيرة فى المستشفى فلما بلغه نبأ إصابة زوجته فى حادث غامض ودخولها المستشفى فى حالة تنذر بالخطر ارتاع ارتياحاً شديداً وانطلق بهمهم :

— شادية ! ! زوجتى العزيزة ، دعونى أذهب لأراها .

ولم يكن أحد قد أنبأه بحقيقة ما حدث فى عيادة الدكتور بدر الدين إشفافاً عليه فظل طول الوقت يهتف باسمها ويصيح :

— خذوني إليها . . . خذوني إليها . . .

وفجأة نهض من مكانه فأسرع إليه الدكتور مختار والطبيب
المعالج وحاولا منعه فصاح فيهما :

— دعوني أذهب . . . بالله دعوني .

وفي اللحظة التالية تهاوى على الفراش فأسرع إليه الطبيب
يتفحصه فوجده يتنفس في صعوبة فأخذ يجرى له بعض
الإسعافات ويدلك أطرافه حتى تنبه قليلاً ، وبعد لحظة أشار
عثمان إلى الدكتور مختار فدنا منه وهو في أشد حالات التأثير
فأمسك عثمان بيده وقتاً ثم همس قائلاً :

— مختار ، أنا انتهيت .

فأجابه قائلاً : سلمت يا خالى . . . أنت بخير . . .

فقال بصوت مختنق وعيناه تحدقان في الفضاء :

— لا . . . لا . . . هذه هي النهاية يا مختار ، فهل لك أن

تعدنى وعداً . . .

— أعدك يا خالى ، فماذا تريد . . .

— هل لك أن تتعهد شادية بعد وفاتي إكراماً لى . . .

— أعدك بذلك من صميم قلبي . . .

فقال في صوت بدا كأنه حشرجة الموت :

— ما أشد طيبتها وسذاجتها ونقاءها ، ليتك يا مختار . . .

ثم شفق شهقة عميقة فاضت فيها روحه .

الفصل الثالث عشر

وتصرمت أيام . وبعد شهرين خرجت شادية من المستشفى منهوكة القوى قلقة النفس محطمة الأعصاب وأقامت مع خالتها في شبرا بعد أن آلت إليها معظم ثروة عثمان . وبعد شهر من خروجها أصدرت المحكمة التي كانت تنظر في قضية الإجهاض حكمها بمعاقبة الدكتور بدر الدين بالحبس ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة . وخلال الفترة بين هذين الخبرين كانت شادية تعيش في شبه دوامة هائلة .

ويوما وهي جالسة في غرفتها مع مختار راحت تنظر إليه ومنديلها في يدها تمسح به عينيها المملوءتين بالدموع وقالت :
— إن قلبي يتمزق حسرة وألماً كلما استعدت في ذهني كلمات عثمان الأخيرة التي قالها لك يا مختار . .

وسكتت لحظة ثم قالت ووجهها يسبح في الدموع :
— ليرحمه الله ، لقد تركت وفاته فراغاً كبيراً في حياتي لا يمكن أن يملأه أحد ، إن الحياة بعده أصبحت لا قيمة لها . .
فقال ليرفه عنها :

— إنني أرثي لك من صميم قلبي ، ولكن لا ينبغي أن

. تستسلمي هكذا لليأس يا شادية . .

— هذا حق ، ولكني ما زلت أشعر في أعماق نفسي بأنني
مخطئة ، وهذا هو سبب ما أحس به من أسف وضيق وشقاء . .
وسكنت هنية ثم راحت تقص عليه قصتها على حقيقتها مع
بدر الدين وجلال ومجدي وفريد وما كان من رغبها الخفية في
إيذائهم جميعاً واستطردت تقول :

— ليتك تدلني على طريقة تنقذني من نفسي ، فإنني
أشعر أحياناً كأن غولا يكمن في أغوارى ويريد أن يفتك بكل
من يصادفني من الرجال . .

فأخرج سيجارة وأشعلها وراح يدخن في هدوء وهو يتفحصها
ثم قال كمن يريد أن يشجع طفلاً شاذاً على الكلام :
— لا سبيل إلى راحتك يا شادية إلا بوسيلة واحدة . .
فقلت في لهفة :

— ما هي ؟

— أن تفضي إلى بكل ما عندك ، من بداية طفولتك
إلى الآن . .

— وماذا يهلك من أمر طفولتي ؟ . . .

— إن ذلك مهم جداً ، لأنني سمعتك وأنت غائبة عن
وعيك في المستشفى تهدين بأشياء بدت لي غريبة جداً . .

فامتقع وجهها امتقاعاً شديداً وقالت وهي تتطلع إليه
في جزع :

— ماذا كنت أقول ؟

فرفع وجهه ونظر إلى السقف دون أن يتكلم أحد منهما
ثم ما لبث أن قطع الصمت قائلاً :
— من تكون سميحة ؟

فومض في عينيها بريق غريب ثم قالت :
— إنها أمي . .

— وعابدين ؟

فانتفضت في مكانها انتفاضة مروعة وقالت وشفتاها
تختلجان في شدة :

— إنه ألي ، ماذا سمعتني أقول عنه ، ماذا قلت عنه
بربك ، أجبني ، أجبني . .
فأجابها في هدوء :

— علام كل هذا الاضطراب يا شادية ؟ . .

فقالت وهي تجفف العرق المتصبب من جبينها :

— لست مضطربة ، لست مضطربة ، ولكني أحب أن

أعرف بماذا كنت أهدي . .

— سأخبرك بكل شيء يا شادية فلست أريد إلا سعادتك ،

والآن أنا أنتظر أن تساعدني لمعرفة مشكلتك . .

— لا تطلب مني تفسيراً يا مختار فأنا كما قلت لك أجهل نفسي كما أجهل كل شيء عن طفولتي . .

— ربما كنت مصيبة في ذلك ، فقليل من الناس من يفهم نفسه جيداً ولكن يجب أن تساعدني حتى أهتدى إلى المشكلة وأعالجها . .

— ماذا تقصد بالمشكلة ؟ . .

— إننا نقصد بها العقدة النفسية التي تستقر في اللاشعور دون وعي من صاحبها نتيجة لرغبة مكبوتة ، أو حب فاشل ، أو صدمة قاسية وما يخلق ذلك في النفس من فكرة معينة ثابتة قد تتطور وتصبح مرضاً خطيراً يقود صاحبه إلى الدمار ، ومهمتي أن أكتشف هذه العقدة وأعالجها بإظهارها من مكمها المستقره فيه في اللاشعور إلى حيز الشعور الواضح الجلي . .

وكان يتحدث وهو ينظر إليها بعينه الحادتين الثابتين فأحست بهما تنفذان إلى أغوارها وتثيران في أعماق روحها قلقاً غريباً وبعد لحظة أحست كأنها تسبح في غيبوبة فاسترخت وأغمضت عينيها وبدأت تجيبه دون تحفظ على كل ما وجهه إليها من أسئلة ، ولما أيقن أنها استسلمت لإرادته استسلاماً كاملاً أخرج ورقة وقلماً وراح يسجل اعترافاتها كلمة كلمة

- وكانت اعترافاتها التي سجلها على الوجه الآتي :
- أين كنت تعيشين مع والديك قبل وفاتهما ؟
 - كنت أعيش في السنطة . .
 - متى توفي أبوك ؟ .
 - توفي بعد والدتي بستة أشهر . .
 - كم كان عمرك في ذلك الوقت . .
 - سبع سنوات . .
 - هل كنت سعيدة مع والديك ؟
 - كلا ، كنت أشعر بأنني أتعس طفلة . .
 - ولماذا ؟ .
 - إن لذلك قصة طويلة . .
 - إسردني إلى كل شيء .
 - إنني أؤثر ألا أتحدث عنهما ، ذلك يعذبني ويشقيني . .
 - ولكن يجب يا عزيزتي أن تتكلمي في ذلك فائدة
- محققة لك .
- إن في الأمر مأساة مخيفة . .
 - لا عليك يا شادية هأنذا مصغ إليكِ .
 - ما دامت هذه رغبتك فسأصارك بكل شيء . .
 - وسكنت لحظة ثم قالت :

« كنت أعيش مع والدي في بلدة السنطة عيشة ناعمة هادئة في منزل جميل أنيق بشيدته الحكومة لأبي ليشرّف على شئون الري في تلك المنطقة ، وكان لأبي بوصفه مهندس الري سيطرة على عدد كبير من الموظفين والعمال والأهالي ، وكانت أمي سيدة فتانة جميلة يحبها كل من يراها وكنت أحبها حباً دونه كل حب ولا أطيق البعد عنها إذ كانت تبدو لي في هذه السن الباكورة مخلوقاً سماوياً كريماً ، وكان أبي يحبها حباً شديداً ويثق بها ثقة لا حد لها ويعتمد عليها في كل شيء ، وعشنا في الحب والصفاء حيناً ، ثم قدر لي بعد ذلك أن أذوق طعم الشقاء كما ذقت طعم السعادة فقد مرضت أمي مرضاً خطيراً فتكّ بجمالها وحطم قواها وأذبل شبابها وجعلها بعد بضعة أسابيع كومة من حطام ، ولم يكد يمضي على مرضها شهران حتى رأيت أبي يضيق بها ويعنف عليها ويعصف في وجهها ويغاضبها مغاضبة متصلة ويسئ معاملتها إلى أبعد حد فكان يكفي أن يراها ليعبس وأن يشعر بأنها في خطر ليفرح، ومرة دخلت عليها حجرتها فرأيت أبي واقفاً أمامها متجهماً الوجه ينظر إليها شذراً ويقول :

— أسمعيني جيداً ، يجب أن تذهبي إلى أهلك ، لقد طلبت ذلك مراراً فلماذا تصرين على البقاء .

فرفعت إليه نظرها الكليل وقالت في نبرات خافتة مرتعشة :

— إننى لا أصر على شيء يا عابدين ، ولكنى ضعيفة
منهكة القوى وأى مجهود سيقضى على . .

فصاح فى عنف وغلظة :

— يجب أن ترحلى رضيت أم كرهت ، هذا قرارى الأخير .
قال ذلك وخرج يدفع الباب وراءه فى عنف . فهرعت
إلى أمى وأنا أبكى وأنشج فضممتنى إلى صدرها وقالت وهى
ترتجف :

— لا تبكى يا شادية . . . اسكتى يا حبيبى .

فتطلعت إليها وسألتها :

— لماذا يعاملك أبى هذه المعاملة يا أمى . .

فانخرطت فى البكاء ثم ضمتنى إلى صدرها فى حنو
بالغ وقالت :

— هذا درس يجب أن تتعلمى منه يا شادية ، يجب أن
تفهمى الرجال على حقيقتهم فهم أشرار أنانيون يحبون المرأة
طالما أنها جميلة فإذا فقدت جمالها لسبب من الأسباب داسوها
بالأقدام ونبذوها نبذ النواة ، ولذلك يجب أن تحتفظى بجمالك
إلى آخر يوم من أيام حياتك . .

وبعد ذلك بأيام ماتت أمى فانقلب مرحى وفرحى وسعادتى
وجوماً وحزناً وسكوناً ثم ضاقت فى وجهى الدنيا وأحسست أننى

غريبة فيها إذ كان أبي قليل العناية بي فلم ألاق منه نظرة حنان أو ابتسامة عطف ، ثم سمعت همساً حولي أن أبي على علاقة مريبة مع زوجة أحد العمدة فلم أفهم من ذلك شيئاً أول الأمر ولكني ما لبثت أن عرفت كل شيء من الخادمة الريفية التي كانت تقوم على خدمتنا في المنزل ، عرفت أن أبي لم يكن رجلاً مستقيماً وإنما كان زير نساء يحب العبث والمجون وله في جميع القرى المجاورة تاريخ حافل .

وغاب أبي أياماً فتنازعني الهواجس وذات ليلة رأيته يدخل المنزل خلسة ومعه سيدة لم أتبين وجهها ودلف الاثنان تَوّاً إلى غرفة النوم فدخلت غرفتي ومكثت طويلاً حتى غلبني النوم وفجأة استيقظت من نومي مذعورة على صوت حركات مريبة في الحديقة فقمّت من فراشي وأسهرت إلى النافذة وتطلعت إلى الخارج فرأيت رجلاً ضخماً الحثة يتوسط جماعة من الرجال وهم يتكلمون في غضب وفي أيديهم هراوات ضخمة وما هي إلا لحظة حتى اقتحم الرجل الضخم الدار والرجال من ورائه وهم يهددون ويتوعدون فتملكني رعب شديد وعدوت ناحية مخدع أبي ثم دفعت الباب ودخلت لأحذره وهنا رأيت أبي والمرأة على الفراش شبه عاريين ولم يكد أبي يلمحني حتى صاح بي متوعداً :

— أخرجني من هنا ، أخرجني وإلا . . .

ولم يستطع أن يتم كلامه فقد هجم عليه العملاق في تلك اللحظة وغرس سكينه في صدره ثم انهال هو ومن معه على أبي طعناً وضرباً حتى خر جثة هامدة ثم تحولوا إلى المرأة وذبحوها على الفراش ذبح الشاة ، وكنت أشاهد ما يجري على الفراش الرهيب وأنا أصرخ وأولول فنظر إلى أحد الرجال وهددني بالقتل بنفس الطريقة إذا لم أسكت وأخيراً حملوا الجثتين في جوال وخرجوا فسقطت على الأرض مغشياً على .

وهنا توقفت شادية عن الكلام لحظة ثم استأنفت تقول وهي تنهد أنها ما فضلت عثمان على غيره من الشبان إلا رغبة في الإبقاء على جمالها ولهذا السبب عيئه عمدت إلى التخلص من الحنين الذي كان يضطرب في أحشائها ، ولما فرغت من قصتها التفت إليها مختار وقال :

— هوني عليك يا شادية ، لقد أصاب فتيات كثيرات غيرك مصائب كمصيبتك فلماذا تعذبين نفسك كل هذا العذاب مع أن الذنب لم يكن ذنبك ، اطردي الماضي من حياتك وطفيه بقدميك واستقبلي الحياة بروح جديدة واعلمي أن الحمال ليس غاية في ذاته وإنما هو هبة يهبها الله للمرأة لاجتذاب الرجل واستمالة مشاعره في سبيل بناء حياة عائلية سعيدة قوامها

المحبة والانسجام والتفاهم واعلمى أيضاً أن الرجال ليسوا جميعاً
أشراراً فمنهم الملائكة كما أن منهم الشياطين ، هل تفهمين جيداً
ما أعنيه يا شادية ؟ .

فقلت في دعة : نعم . .

— وهل تصدقين كل ما قلته ؟

— إننى أصدق كل ما قلته لأننى أعتقد أنك لا تقول

إلا الصدق . .

وعندما تنهت لنفسها بعد لحظات أحست كأنها ولدت

من جديد فنظرت إليه ووجهها يلتع بشاشة وبشراً وقالت :

— ماذا جرى لى ، إننى أشعر براحة لم أعرفها فى حياتى

من قبل . .

فابتسم لها وقال :

— يسرنى أن أسمع ذلك . .

وسكت برهة ثم سأها قائلاً :

— خبرينى يا شادية ، هل أتممت دراستك الثانوية ؟

— نعم ، وحصلت على شهادة التوجيهية ، ولكن لماذا

تسأل هذا السؤال ؟ .

— لأن لدى فكرة أود أن أعرضها عليك . .

— ما هى . .

— ألا تحبين أن تلتحقي بالجامعة لمواصلة تعليمك ، إن ذلك يفيدك للغاية ، فما قولك . .

— ذلك يسرنى كل السرور .

— حسناً ، سأنظر في الأمر وسأخطرک بالنتيجة في أقرب وقت . .

والتحقت شادية بعد ذلك بالجامعة ، وانتقلت بذلك إلى بيئة جديدة فيها ترفيه عن النفس وتسلية عن الهم وبعد عن الهواجس والأوهام ، وشهدت في الشهور التي تلت ذلك عهداً من حياتها سعدت فيه بغبطة نفسية لم تسعد بها في وقت من الأوقات .

وكان الدكتور مختار يشجعها ويحثها على المضي في العمل والاستذكار ويطلب إليها أن تعرض عليه أعمالها من حين إلى حين ، فتوثقت بينهما الصلات وتعددت الزيارات والمناقشات داخل الجامعة وخارجها ، وكان ذلك يحدث بينما كان الحب ينمو ويشتد ويبسط سلطانه على قلوبهما حتى تملكهما وانتهى بهما إلى حياة زوجية سعيدة قوامها الحب والحنان والتفاهم والانسجام .

يصدر قريباً

تقدّم في مجموعته: **مكتبة الثقافة الشعبية**

الكتاب الرابع

الفنون الشعبية في يوغوسلافيا

بقلم الأستاذ عبد المنعم حسن



- أول كتاب من نوعه باللغة العربية
- الرقص الشعبي . المواويل . الرّبابة والمزمار
- الأزياء القومية . الصناعات الشعبية .
- كانت ولا تزال كلها تعبيراً عن الأمل والأمل والكفاح

عدد ممتاز

مُزَيَّن بالرّسوم واللوحات الفنية الملونة

ثمن النسخة كالمعتاد ١٥ قرشاً مع باعة الصحف والمكتبات

س.ت ٥٢١٢١

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة